المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
مركز بحوث التربوية والنفسية

سلسلة بحوث التربوية والنفسية

# مفهوم السلوك الخُلُقي
## من وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة

عبدالله بن أحمد بن محمد العطاس

مكة المكرمة ١٤٢٥هـ

ح جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ.

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.*

العطاس ، عبدالله بن أحمد بن محمد

مفهوم السلوك الخلقي من وجهتي نظر الامام ابي حـــامد الغـــزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة. عبدالله بن أحمد بن محمد العطـاس – مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ

١٤٤ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٥-٧٤٩-٠٣-٩٩٦٠

١ – الغزالي ، محمد بن محمد ، ت ٥٠٥ — علم النفس الاسلامي

٢ – السلوك (علم نفس) أ – العنوان

ديوي ٢١٤,٥ ١٤٢٥ / ٣٨٠٩

رقم الإيداع : ١٤٢٥ / ٣٨٠٩

ردمك : ٥-٧٤٩-٠٣-٩٩٦٠

*الطبعة الأولى*

حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى

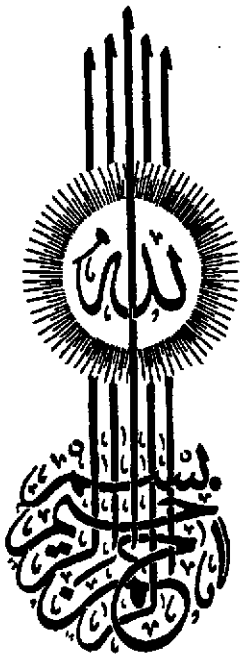
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

# ملخص الرسالة


□ **عنوان الدراسة :** مفهـــوم السلوك الخُلُقي من وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة.

□ **أهداف الدراسة :** إبـــراز إســـهامات الإمام أبي حامد الغزالي، ونظرة بعض الاتجاهات النفســـية الغربية الحديثة في علم النفس وذلك في الجوانب التالية : مفهوم السلوك الخُلُقي، و السلوك الخُلُقي، وخصائص السلوك الخُلُقي، ومعيار السلوك الخُلُقي، وسبل اكتساب السلوك الخُلُقي، وهدف السلوك الخُلُقي مع توضيح جوانب الالتقاء والاختلاف بينهما.

□ **منهج الدراسة :** المـــنهج الوصـــفي (التاريخي، الوثائقي) للوصول للمعلومات وذلك باســـتخراج النصوص والمفاهيم والأفكار المتصلة بعنوان الدراسة من مصادر كتب الإمام أبي حـــامد الغـــزالي، والمـــراجع المعاصرة من كتب ومقالات وبحوث ومقارنتها ببعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس.

□ **أبرز نتائج الدراسة :**

- أكـــد الإمام أبو حامد الغزالي على أهمية تداخل وتفاعل السلوك الخُلُقي كمفهوم متكامل ومؤثر في بناء جوانب النفس الإنسانية، كما أكد على دور الجوانب الباطنية (العقلية) من خواطر ورغبات وإرادة والجوانب السلوكية الفعلية ووحدتهما في اكتساب السلوك الخُلُقي وفق ما يقرره العقل والشرع.
- أبرز الإمام أبو حامد الغزالي دور الجانب الروحي الإيماني كأساس ضابط وموجه للأساس النفســـي والأســـاس القلبي والأساس العقلي، فكلما قويَّ الارتباط بين هذه الأسس وبين بالأســـاس الإيماني أدى إلى ظهور السلوك الخُلُقي المحمود، كما أن ضعف ارتباط الأساس النفســـي والقلـــبي والعقلي عن الأساس الإيماني يؤدي إلى ظهور أعراض السلوك الخُلُقي المذموم.
- أظهـــر الإمـــام أبـــو حـــامد الغـــزالي أصالة وفطرية السلوك الخُلُقي المحمود،وأنه يتميز بالمرونة،والواقعية،والمثالية،والوسطية.كما اتفقت كل من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي

وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة على أن عملية التغيير والتعديل واردة في السلوك الخُلُقي.

- حدد الإمام أبو حامد الغزالي معايير السلوك الخُلُقي وفق معيار شرعي إلهي يُحدد بوضوح كل ما ينبغي أن يكون سلوكاً خُلُقياً محموداً أو مذموماً، حيث زاد الإمام أبو حامد الغزالي عـــلى الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس بذكر مصدر الشرع الإسلامي " الوحي " وجعله ضابطاً وهادياً للعقل.
- اتفقت وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة على أهمـــية ودور الفطرة (الوراثة)، والوسائط الخارجية (البيئة) في اكتساب السلوك الخُلُقي، وأن عملـــية اكتساب السلوك الخُلُقي في الذات الإنسانية على ذلك تعتبر جهاداً مستمراً ليكون بذلك سلوكاً خُلُقياً راسخاً لها.
- تفرد الإمام أبو حامد الغزالي عن كثير من الاتجاهات النفسية الحديثة في علم النفس حول هدف السلوك الخُلُقي وربطه بالله عز وجل وابتغاء مرضاته ونيل ثوابه في الدنيا والآخرة، بينما تسعى الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس إلى الوصول بالذات الإنسانية إلى السعادة النفسية الحالية كهدف غائي.

## □ أهم توصيات الدراسة :

- أهمـــية إبراز الجانب " الروحي " الإيماني وتأثيره على سلوك الفرد، وأنه جانب مهم لثبات الســـلوك الخُلُقـــي المحمود، كما أن اضطرابه سببٌ كبيرٌ لعدم توافق المرء في دينه ودنياه، وسببٌ لظهور أعراض السلوك الخُلُقي المذموم.
- اظهار الخصائص والمميزات الإيجابية الربانية والفطرية والواقعية والمثالية والوسطية للسلوك الخُلُقي القويم ومقارنته بالسمات الوضعية للإنسان المعاصر الذي لا يتحلى بالسلوك الخُلُقي المحمود.
- الاهتمام بنشر الثقافة الخُلُقية النافعة للأفراد في دنياهم وأخراهم، وتبصيرهم بطبيعة الآداب الإسلامية المتعلقة بالسلوك الخُلُقي القويم وابرازها في كافة مجالات الحياة.

# قائمة المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| – ملخص الدراسة. | أ |
| – قائمة المحتويات. | ج |
| – قائمة الأشكال التوضيحية. | هـ |
| الفصل الأول : المدخل إلى الدراسة | |
| – مقدمة. | ١٣ |
| – مشكلة الدراسة. | ١٥ |
| – تساؤلات الدراسة. | ١٦ |
| – أهداف الدراسة. | ١٧ |
| – أهمية الدراسة. | ١٨ |
| – مصطلحات الدراسة. | ١٩ |
| – حدود الدراسة. | ٢٠ |
| الفصل الثاني : الإطار النظري و الدراسات السابقة | |
| أولاً : ترجمة حياة الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – | ٢٣ |
| - نسبه. | ٢٣ |
| - مولده. | ٢٣ |
| - الحالة الاجتماعية. | ٢٤ |
| - نشأته العلمية. | ٢٤ |
| - إنتاجه العلمي. | ٢٥ |
| - وفاته. | ٢٨ |

| | |
|---|---|
| ثانياً : المفاهيم الأساسية. | ٢٨ |
| – مفهوم السلوك. | ٢٨ |
| – مفهوم الأخلاق. | ٢٩ |
| ثالثاً : الدراسات السابقة : | ٣١ |
| – عرض الدراسات السابقة. | ٣٢ |
| – التعليق على الدراسات السابقة. | ٣٧ |
| الفصل الثالث : إجراءات الدراسة | |
| – منهج الدراسة. | ٤٣ |
| – أدوات الدراسة. | ٤٣ |
| الفصل الرابع : إسهامات الإمام أبي حامد الغزالي –رحمه الله – التربوية والنفسية | |
| – مفهوم السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله –. | ٤٧ |
| – أُسس السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله –: | ٥٤ |
| أولاً : الأساس الإيماني. | ٥٤ |
| ثانياً : الأساس النفسي. | ٥٧ |
| ثالثاً : الأساس القلبي. | ٦٠ |
| رابعاً : الأساس العقلي. | ٦٤ |
| – العلاقة بين أسس السلوك الخُلُقي من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي. | ٦٩ |
| – خصائص السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – : | ٧٣ |
| ١ – فطرية السلوك الخُلُقي. | ٧٣ |
| ٢ – مرونة السلوك الخُلُقي. | ٧٧ |
| ٣ – واقعية السلوك الخُلُقي. | ٧٩ |
| ٤ – مثالية السلوك الخُلُقي. | ٨١ |
| ٥ – وسطية السلوك الخُلُقي. | ٨٣ |
| ٦ – مراعاة الفروق الفردية في السلوك الخُلُقي. | ٨٦ |

| | |
|---|---|
| – معيار السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – | ٨٩ |
| – سُبُل اكتساب السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي :– | ١٠٢ |
| ١ – عبادة الله عز وجل وطاعته. | ١٠٤ |
| ٢ – المجاهدة النفسية. | ١٠٨ |
| ٣ – الصبر والمصابرة. | ١١٠ |
| ٤ – الرياضة والمواظبة الفعلية. | ١١٢ |
| ٥ – المراقبة النفسية. | ١١٣ |
| ٦ – القدوة الحسنة. | ١١٥ |
| ٧ – الصدق والإخلاص. | ١١٨ |
| – هدف السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – | ١٢٠ |
| الفصل الخامس : ملخص نتائج الدراسة | |
| – النتائـــج. | ١٢٧ |
| – التوصيات. | ١٢٩ |
| - المقترحات. | ١٣٠ |
| قائمة المصادر والمراجع | ١٣٤ |

# قائمة الأشكال التوضيحية


| رقم الشكل | عنوان الشكل | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| (١) | مـــراحل تكوين السلوك الخُلُقي في الذات الإنسانية من الناحـــية النفســـية عند كل من الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الإتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس | ٥٢ |
| (٢) | العلاقة بين أسس السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي. | ٧١ |
| (٣) | وسطية السلوك الخُلُقي في حالة الاعتدال والاضطراب في بعض كتابات الإمام أبي حامد الغزالي. | ٨٤ |
| (٤) | تـــأثير قوى النفس الفطرية على السلوك الخُلُقي المحمود عند الإمام أبي حامد الغزالي. | ٩٣ |
| (٥) | معـــايير السلوك الخُلُقي المحمود و المذموم كما أشار إليها الإمام أبو حامد الغزالي في أغلب كتاباته | ١٠١ |

# الفصل الأول

# المدخل إلى الدراسة

- مقدمة.
- مشكلة الدراسة.
- تساؤلات الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- حدود الدراسة.

## مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على حبيبنا وشفيعنا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين أما بعـــد : –

فلما كانت الأخلاق هي روح الحياة الإنسانية الرفيعة الراقية وأحد مظاهر السلوك السوي للأفراد، حيث تحتل جانباً هاماً من جوانب بناء الشخصية إذ تختص بالقيم والمثل والمعايير والعادات والتقاليد (باعنتر، ١٤١١ هـــ : ٣)، كما تعتبر – الأخلاق – من المميزات التي تعطي شخصية الإنسان شكل التكامل والنضج والتوافق والاستقرار النفسي. وتتجلى أهمية هذا الجانب في بناء الشخصية من واقع القرآن الكريم عندما امتدح الحق سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ بهذه الميزة، ميزة الأخلاق، على الرغم من وجود مزايا عديدة في شخصيته ﷺ. ولهذا لما أراد الله تعالى أن يمتدح نبيه ﷺ وينوه بأكبر مرشحات رسالته كان امتداحه له على ما فيه من خُلُق عظيم. قال الله تعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]

وقد أكد المصطفى ﷺ أهمية تلك الميزة بقوله :" **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** ".

(ابن حنبل، ١٤١٣ هـــ، باقي مسند أبي هريرة، حديث رقم ٨٩٢٧ : ٥٠١)

وما ذلك كله إلا دليل واضح على أهمية هذا الجانب السلوكي من الشخصية الإنسانية. لأن السلوك الإنساني يعتمد في الأصل على مدى ما يملكه الإنسان من مخزون أخلاقي "معرفي إدراكي ووجداني ونزوعي" ومبادئ عملية راسخة مستمرة يلتزم بها في كافة مواقف الحياة المتغيرة. فالشخصية لا تكتمل إلا بوجود الجانب الخُلُقي. والسلوك الخُلُقي أحد الموضوعات الأخلاقية المشتركة في كل العلوم الإنسانية التي اهتم بهاالفلاسفة والمفكرون بالبحث والدراسة على مر العصور إلى الوقت الحاضر، حتى أصبح لا يعرف إلا عن طريقهم، كما أن هناك جذوراً تاريخية وإسهامات عظيمة لعلماء الإسلام السابقين الذين تأثروا كثيراً بالأخلاق الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي تتميز عن غيرها أنها أخلاق ترتبط بجميع أشكال السلوك البشري في جميع النظم الاجتماعية. (السليماني وبار، ١٤١٦ هـــ : ٩٤).

وقد أوضح الحداد (١٩٩٦ م) أهم الأخلاق الإيمانية والقرآنية السلوكية التي نادت بها الشريعة الإسلامية وهي:-

١- الأخلاق السلوكية الإيمانية وهي : الإخلاص، والاستقامة، والشكر، المحبة، والتوبة، والإنابة.

٢- الأخلاق السلوكية الذاتية وتشمل : الصدق، والصبر، والتواضع، والحياة، والزهد.

٣- الأخلاق السلوكية المتعدية وتشمل : الأمانة، والوفاء، والحلم، والعفو، والرحمة، والكرم.

٤- الأخلاق القرآنية التعبدية : كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

٥- الأخلاق الاجتماعية العامة وتشمل : التحية بدءاً ورداً، والاستئذان، وغض البصر، والضيافة، والإحسان بأنواعه. (ص ١٧)

وحينما بدأ المسلمون في التوسع وفي نشر الحضارة والثقافة، تأثرت الثقافة العربية والإسلامية في العصور التي سبقت عصر الإمام أبي حامد الغزالي بغيرها من ثقافات الأمم السابقة فبرع من الفقهاء والأدباء والفلاسفة، ودرسوا وكتبوا في أنواع العلوم بدأ العلماء المسلمون منذ بداية القرن الثاني يتوافدون على ترجمة الكتب في شتى العلوم من الحضارات القديمة نتيجة لتشجيع الخلفاء، مما ساعد على زيادة حركة التأليف والتصنيف وأدى ذلك إلى ظهور الكثير من الدراسات الإسلامية والأخلاقية كنتيجة لعملية النقل والترجمة والتشجيع من قبل الخلفاء. (السلجوقي، ١٩٦١ م : ٧٨)

وهذا ساعد على ظهور عدد كبير من العلماء المسلمين تضمنت دراساتهم وكتاباتهم كثيراً من الجوانب التربوية والنفسية. لذا قام الباحث بإظهار إسهامات علم من أعلام الأمة الإسلامية هو الإمام الجليل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي – رحمه الله –

(٤٥٠ هـ / ٥٠٥ هـ) حيث تكلم هذا العالم عن كثير من المفاهيم والمصطلحات ذات المعاني التربوية والنفسية والتي يمكن أن تستنتج من أعماله وبخاصة المفاهيم المتعلقة بموضوع السلوك الخُلُقي، كما اهتم هذا الإمام الجليل في دراسته للسلوك الخُلُقي على " الاتجاه الروحي الذي يعتبر الهدف الأسمى من السلوك الخُلُقي التحلي بالفضيلة وتهذيب النفس

وترويضها والسمو بالروح والتخلي من الشوائب لتحقيق السعادة النفسية ". (مرسي، ١٩٩٢ م : ٥٦)، مع محاولة ربط مفهوم السلوك الخُلُقي لدى هذا العالم بمفهوم السلوك الخُلُقي عند بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس، والذي تمت دراسته بصورة منظمة من قبل عدة اتجاهات مختلفة تناولت مفهوم النمو الخُلُقي، أشار إلى أهمها فتحي (١٩٨٣م) وهي:-

١- اتجاه تناول الحس الخُلُقي : ويرتبط بالمشاعر والجوانب الداخلية من الإنسان وقد بحث في هذا المظهر فرويد ومجموعته وارتبطت دراسته بنظرية التحليل النفسي.

٢- اتجاه بحث في السلوك الخُلُقي : وهو ما يرتبط بممارسات الأفراد وما يمكن اكتسابه من سلوك متعلم، وبحث فيه سكنر، و باندورا، بالإضافة إلى آرون فرد وارتبط بوجهة النظر السلوكية.

٣- اتجاه اهتم بالحكم الخُلُقي : وهو مظهر مرتبط بالمعرفة فيما نصدره من أحكام أخلاقية على سلوك الأفراد بالصواب، واشتهر به علماء النفس المعرفيون. وبحث فيه " بياجيه، وكولبرج، وآيزنبرج. (ص١٠)

لذا يرى الباحث ضرورة استمرار البحث لاكتشاف الطاقات العلمية التي يزخر بها التراث الإسلامي وبصفة خاصة في مجال الدراسات التربوية والنفسية بهدف تقديم محاولة علمية لعلها توقظ همم ومشاعر الدارسين والمتخصصين وتستثير من هو أقدر على معالجة الموضوع من المفكرين وعلماء الأمة.

## مشكلة الدراسة :

تظهر مشكلة الدراسة في أنها تتناول موضوعاً لم يتناوله الكثير من الباحثين في الدراسات الحديثة حيث إن هناك بحوثاً يسيرة في علم النفس ركزت على جوانب معينة في الشخصية وأهملت جانب السلوك الخُلُقي كمفهوم جوهري وهام لتوازن وتكامل الشخصية.

يقول الهاشمي (١٤٠٣ هـ) ((إن أغلب الدراسات النفسية الحديثة قد ركزت على أربعة جوانب فقط لدراسة وفهم النفس البشرية وهي : مجال الجوانب الجسمية – مجال الجوانب الإدراكية – مجال الجوانب الانفعالية – مجال الجوانب الاجتماعية، وأُهملت الميادين التطبيقية في علم النفس من الميدان الخُلُقي)). (ص ٢٥)

وكما ذكر بدري (١٤١٥ هـ) أن ما يزيد من تعقيد المشكلة هو أن علم النفس الغربي قد أسقط من حسابه العوامل الروحية والخُلُقية حيث اكتفى بالعوامل النفسية والعضوية والاجتماعية والحضارية كمكونات وحيدة للسلوك الإنساني، كما زاد رفضه للعامل الروحي والعامل الخُلُقي لأنه ينبثق من التصور الديني (ص ٢٣)

وحيث إن أمر الأخلاق في شرعة الإسلام عظيم شأنه، عالية مكانته ومنزلته فقد عني القرآن الكريم عناية كبرى بالأخلاق، وكان النبي ﷺ قد تمثل عنايته تلك بسلوكه كله، لذا كان لا بد من تتبع واستقراء ذلك التمثيل النبوي في كتابات وإسهامات علماء الأمة، والاستفادة من تلك المفاهيم الأخلاقية وتطبيقها سلوكياً.

ورغم أن موضوع السلوك والأخلاق عند الإمام أبي حامد الغزالي تم تناول أجزاء منه في دراسات سابقة كدراسة : (مبارك، ١٩٢٤م، العثمان، ١٤٠١ هـ، البريزات، ١٤٠١ هـ، الشناوي، ١٤٠٧ هـ، السليماني و بار، ١٤١٦ هـ، سلتي، ١٤١٧ هـ)

إلا أن الباحث استمراراً لهذه الجهود المخلصة ومواصلة للبحث العلمي وإظهار كنوز التراث الإسلامي، تناول مفهوم السلوك الخُلُقي عند أبي حامد الغزالي كمفهوم متكامل ومتداخل ومؤثر في بناء جوانب الشخصية الإنسانية.

## تساؤلات الدراسة :

تسعى هذه الدراسة للإجابة على التساؤلين الرئيسين :

١- ما إسهامات الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – في مفهوم السلوك الخُلُقي ؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية :-

أ – ما مفهوم السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي ؟

ب – ما أُسس السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي ؟

ج – ما خصائص السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي ؟

د – ما معيار السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي ؟

هـ – ما سبل اكتساب السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي ؟

و – ما هدف السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي ؟

٢– مـا جوانـب الالتقاء والاختلاف بين الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في دراسة مفهوم السلوك الخُلُقي ؟

## أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على :

١ – إسـهامات الإمام أبي حامد الغزالي –رحمه الله – حول مفهوم السلوك الخُلُقي وذلك في الجوانب التالية :–

أ – مفهوم السلوك الخُلُقي.

ب – أُسس السلوك الخُلُقي.

ج – خصائص السلوك الخُلُقي.

د – معيار السلوك الخُلُقي.

هـ – سُبل اكتساب السلوك الخُلُقي.

و – هدف السلوك الخُلُقي.

٢ – توضـيح جوانـب الالتقاء والاختلاف بين وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة حول مفهوم السلوك الخُلُقي.

## أهمية الدراسة :

١ – تبرز أهمية هذه الدراسة بأنها واحدة من الدراسات التي تهتم بإظهار إسهامات الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – حول موضوع السلوك الخُلُقي، وهو بلا ريب أحد أعلام الفكر الإسلامي والفكر الإنساني بوجه عام. كما انه أحد العباقرة المسلمين الذين تعددت جوانب نبوغهم وعطائهم المخلص في مجال الدراسات الإسلامية والدراسات التربوية والنفسية.

٢ – محاولة تعريف القارئ والطالب المتخصص في مجال الدراسات التربوية والنفسية إن الحضارة الإسلامية غنية برجالها وأعلامها الأفذاذ الذين انطلقت عبقريتهم الإسلامية في كل ميدان من ميادين العقل أو الوجدان أو السلوك والأخلاق وكانت بذلك شاملة لكل فروع الفكر والثقافة والتشريع.

٣ – محاولة توظيف الآراء التربوية والنفسية لعلماء ومفكري الإسلام لصالح الأجيال الإسلامية المقبلة وذلك للاستفادة من تلك الآراء لتنفعهم في معاملاتهم وحياتهم، ولتصبح سلوك عمل يُلتزمْ به في شتى المواقف اليومية.

٤– تناول الباحث هذه الدراسة كإضافة جديدة وذلك لقلة الدراسات النفسية الوصفية (التاريخية، الوثائقية) في هذا الجانب مع أنه من المفترض أن تتناول مثل هذه الدراسات التربوية و النفسية لعلماء تركوا بصماتهم على الثقافة والحضارة والفكر والتاريخ.

٥– تعتبر من أوائل الدراسات في مرحلة الدراسات العليا – بقسم علم النفس بكلية التربية في جامعة أم القرى إذ تهتم بإبراز الإسهامات التربوية والنفسية للإمام الجليل أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي – رحمه الله – من خلال تحليل مجموعة لكتاباته المتعددة والمتنوعة.

# مصطلحات الدراسة :

## السلوك الخُلُقي :

تعددت وجهات النظر حول مفهوم السلوك الخُلُقي كمفهوم متكامل، وتباينت التعريفات من ذلك المفهوم، منه ما يراه الكيلاني (١٤١٢ هـ) أن مصطلح الأخلاق يتضمن معنى السلوك، كما أشار أمين (١٩٧٤م)، وجوهري (١٤٠٥ هـ) أن السلوك هو المظهر الخارجي وصورة النفس الظاهرة، وأن السلوك دليل الخُلُق ومرآته فإذا كان الإنسان سلوكه الخُلُقي حسناً محموداً كانت شخصيته حسنة متوازنة، وإذا كان سلوكه الخُلُقي سيئاً مذموماً كانت شخصيته مضطربة سيئة كذلك. فالسلوك والخُلُق كمفهوم متكامل يمثل وحدة مترابطة ومتفاعلة ومتداخلة تحدد شخصية الإنسان وتميزها وهما وجهان لأمر واحد فالمبادئ الأخلاقية لا يمكن للإنسان أن يستشعرها إلا في السلوك نفسه.

ويشير صليبا (١٩٩٤ م) إلى أن لفظ الأخلاق إذا أُضيف إلى لفظ آخر دل على مجموع قواعد السلوك المتعلقة بالشيء الذي يدل عليه ذلك اللفظ، فإذا أطلق لفظ خُلُقي على السلوك العملي دل على مطابقة هذا السلوك لمبادئ الأخلاق.

يقول الهاشمي (١٤٠٤ هـ) : ((إن السلوك الخُلُقي ذو ارتباط نفسي وظيفي ينتج عنه وحدة الشخصية في وحدة الإرادة والنشاط ويمثل الخلق استعداداً نفسياً للعمل السلوكي الصريح عندما يتطلب الموقف وهذا يمثل المعاني النفسية السلوكية المثالية للإنسان فقد يكون أميناً صادقاً عفيفاً مؤدباً كريماً وفياً يحمل المسؤولية. (ص ١٤٩)

وعرف بدوي (١٩٧٨ م) مفهوم السلوك الخُلُقي بأنه " كل ما يتصل بالأخلاق والصواب والخطأ والخير والشر طبقاً للسنن الأخلاقية السائدة ويقال : الآداب العامة ويراد بها بعض القواعد العامة التي تقضي الأخلاق القويمة بانتهاجها ولا يجوز الخروج عليها ".

(ص ٢٧٤)

فالسلوك الخُلُقي مرتكز أساسي تقوم عليه الشخصية السوية، بل هو مظهر من مظاهر الصحة النفسية، وسوء الأخلاق قد يمثل أحد جوانب اضطراب السلوك الشخصي، وعدم الاطمئنان النفسي.

إلا أن مفهوم السلوك الخُلُقي الذي يرمي الباحث الوصول إليه هو السلوك الخُلُقي الذي ينبع من الإيمان الصادق المبني على الإخلاص والمراقبة والبصيرة الثاقبة والطاعة وتقوى الله في السر والعلن، في الغيب والشهادة. السلوك الخُلُقي الذي امتزجت فيه مصادر الإيمان

بكل جزء من أجزاء الإنسان الداخلية (النفسية والقلبية والعقلية) والخارجية الظاهرة الملموسة في السلوك ؛ السلوك الخُلُقي الذي غايته ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى في كل الأمور والمواقف الذي يمده صلاح النفس و القلب والعقل فيظهر منه السلوك المحمود، هذا السلوك الخُلُقي لا يفعله صاحبه إلا إذا توفرت لديه بواعث نفسية خيرة أكرمه الله بها تظهر أنوار ذلك الجود والكرم الإلهي على تصرفات وسلوكيات صاحبه كالرحمة والذوق والحياء والحس الروحي الأعلى. (العفنان، ١٤١٢ هـ)

وقد أوضح الإمام أبو حامد الغزالي إن مفهوم الخُلُق كسلوك خُلُقي راسخ "معتاد" في الذات الإنسانية. كما حدد معالم حُسن الخُلُق ويعني به السلوك الخُلُقي المحمود أي (السوي) وبه نعرف سوء الخُلُق أي السلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي).

وعلى ذلك فالسلوك الخُلُقي من وجهة نظر الدراسة الحالية يعرف بأنه : استعداد أصيل له جذور فطرية استودعها الله تعالى في أعماق الذات الإنسانية، تتحدد من خلال مستوى الثبات الدائم والمستمر الذي يظهر بصورة متكررة غير متكلفة في الذات الإنسانية، وقد يكون هذا الاستعداد إما موجه إلى الخير والصلاح والأخلاق الحسنة ؛ بهدف ابتغاء مرضاة الله عز وجل، أو قد يكون منحرفاً إلى الشر والفساد والأخلاق السيئة وبالتالي يسلك الإنسان مسلك السلوك الخُلُقي المذموم ويعتاده.

## حدود الدراسة :

اقتصـــرت هـــذه الدراسة على توضيح مفهوم السلوك الخُلُقي وكل ما يرتبط به لدى الإمام الجليل أبي حامد الغزالي – رحمه الله – دون التعرض لغيره من المفاهيم النفسية الظاهرة في كـــتابات هذا العالم الجليل، مع التركيز على بعض مؤلفاته – المطبوعة – المتعلقة بالموضوع محل الدراسة. كما اقتصرت الدراسة بما كتب عن الموضوع في الدراسات والمقالات والكتب النفسية الحديثة التي تناولت مفهوم السلوك الخُلُقي وما يتعلق به من وجهة نظر بعض الاتجاهات النفسية الغربية في علم النفس الحديث.

# الفصل الثاني

# الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً : ترجمة حياة الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله –

ثانياً : المفاهيم الأساسية :

- مفهوم السلوك.
- مفهوم الأخلاق.

ثالثاً : الدراسات السابقة :

- عرض الدراسات السابقة.
- التعليق على الدراسات السابقة.

# أولاً : ترجمة حياة الإمام أبي حامد الغزالي - رحمه الله -

(٤٥٠ هـ / ٥٠٥ هـ) - (١٠٥٨ م / ١١١١ م)

## - السيرة الذاتية :

### نسبه :

هو الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد الطوسي المشهور بالغزالي ويُكنى بأبي حامد.

ويذكر الزركلي (د. ت) " إلى أن نسبته إلى صناعة الغزل عند من يقوله بتشديد الزاي (الغزّالي)، أو إلى غزالة من قرى طوس لمن قال بالتخفيف(الغزَالي) ". (ص ٢٤٧)

### مولده :

ولد سنة ٤٠٥ هـ الموافق ١٠٥٨ أو ١٠٥٩ في مدينة طوس في خراسان وسط أسرة بسيطة الرزق وعائلة متدينة. (بن خلكان، د. ت)

وكان والده رجلاً فقيراً صالحاً عابداً يعتمد في كسب رزقه ونفقة عياله على غزل الصوف ثم يبيعه بدكانه بطوس. كان - والده - يحب العلم والعلماء ويطوف على الفقهاء ويجالسهم ويقوم على خدمتهم وكان يشعر أن الخير الكثير قد فاته لأنه لم يكن فقيهاً أو واعظاً أو مرشداً ومن أجل ذلك كان - والده - يسأل الله تعالى بأن يرزقه أولاداً وأن ييسر لهم كل وسيلة من التربية والتعليم حتى يتحقق أمله فيهم فاستجاب له ربه ووهبه أبا حامد وأخاه أحمد، ولما شعر بدنو أجله أوصى أحد أقاربه من أهل الخير والصلاح برعايتهما وتعليمهما حيث ترك لهما شيئاً قليلاً من المال أمره أن يصرفه عليهما. ولما توفى والدهما قام ذلك الرجل الصالح برعايتهما وتعليمهما إلى أن نفذ المال القليل الذي تركه لهما والدهما مما اضطره إلى إلحاقهما بالمدرسة ليعيشا من راتبها ويواصلا تعليمهما. (يحي، ١٤٠٧هـ : ١٨)

## الحالة الاجتماعية :

تزوج الإمام الجليل أبو حامد قبل بلوغه العشرين من عمره، في نيسابور، وكان له ولد اسمه حامد مات في طفولته وبسبب هذا الابن صارت كنية حجة الإسلام أبا حامد، وكانت له بنـــت اسمها ست المنى، وعاش للإمام ثلاث بنات ولم يعقب إلا البنات. (الشرباصي، د. ت : ٥٤)

## نشأته العلمية :

واصل الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – دراسته منذ صغره وفي صباه، فقرأ قدراً مـــن الفقه على أحمد بن محمد الراذاكاني ببلدة طوس ولحرصه الشديد منذ صغره وتطلعه على المعرفة والاستزادة منها سافر في طلب العلم إلى جرجان. (الحموي، ١٣٧٦هـــ :٩١).

وتتلمذ على يد أبي القاسم إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي فقرأ عليه الفقه ومبادئ علم الأصول وكان يسجل ما درسه في صحائف كان يسميها " تعليقة ".وبعد حادثة السرقة التي تعرض لها حفظ التعليقة، عن ظهر قلب خوفاً من نسيانها. ثم توجه بعد ذلك للمزيد من المعرفة والعلم إلى نيسابور عاصمة السلاجقة والتي كانت مركزاً للعلم بعد بغداد ولازم إمام الحرمين الشريفين أبا المعالي ضياء الدين عبد الملك بن محمد عبد الله بن يوسف الجويني، و اجتهد في التعلم وأخلص حتى برع بذكائه وجهده وصبره وإخلاصه ومحاولاته المخلصة في فقه المذهب الشافعي وأصوله. كما درس علم الكلام، وطرق الخلاف والجدل والمنطق وقد أحبه شيخه ودعا له حتى كان يصفه بأنه بحر مغدق. (السُبكي، ١٣٨٨ هـــ :١٩٥)

وتعتبر هذه الفترة التي شرب فيها أبو حامد الغزالي –رحمه الله– من معين شيخه الإمام الجويني العلم فترة تحصيل وتأليف حيث عني بفقه الشافعية فكانت بداية لحياة التصنيف والتأليف والنضج الفكري. وبعد وفاة شيخه الإمام الجويني –رحمه الله – عام ٤٧٨هـــ خرج الغزالي إلى مدينة المعسكر فلقي الوزير السلجوقي نظام الملك فأكرمه وعظمه.

وبعد خمس سنوات فوض إليه الوزير نظام الملك التدريس في المدرسة النظامية ببغداد في جماد الأولى سنة ٤٨٤هـــ واستمر في ذلك أربع سنوات. (ابن خلكان، د. ت)

وفي هذه الفترة ذاع صيته واشتهر علمه وكان واحة يقصده كبار العلماء من مختلف المذاهب وطلاب العلم من شتى البقاع. وتعتبر هذه المرحلة مرحلة اكتمال النضج الفكري للإمام الجليل أبي حامد الغزالي –رحمه الله– فأقبل على دراسة علم الكلام واطلع على كتب المحققين ثم أقبل على دراسة الفلسفة اليونانية فتناولها بشيء من التحليل والتقسيم وتعرف على أصناف علوم الفلاسفة وما لهم وما عليهم. ولما يئس الغزالي من هذه الفلسفة – اليونانية – حيث لم يجد فيها ضالته – الوصول إلى علم الحقيقة – رد عليهم بكتابه " تهافت الفلاسفة "

وهكذا غلب الإمام الغزالي – رحمه الله – على أمره، ولبى منادى الآخرة، وترك وظيفته، ومنزلته "ببغداد " بعد أن حل محله في التدريس شقيقه " أحمد " وتلطف بلطائف الحيل للخروج من "بغداد " بعد أن أمضى فيها أربع سنوات، عازماً الخروج إلى "مكة المكرمة " وهو يريد في نفسه السفر إلى الشام، فوصل إليها سنة (٤٨٨هـ) وأقام فيها سنتين، لا شغل له خلال تلك المدة إلا العزلة والخلوة، مشتغلا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، ثم رحل إلى " بيت المقدس " ثم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج. ولما رأى أغلب مجتمع عصره قد أصيب بجمود في الفكر كان في حاجة إلى من يحارب هذا الجمود ويوقظ الفكر، وينشر العلم، فإحساسا بالمسئولية خرج من عزلته وعاد إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ والإرشاد، وحدث بكتاب – إحياء علوم الدين – الذي صنفه خلال جولته في الشام. ثم ترك " بغداد " متوجها إلى بلدة "طوس" واشتغل بالدعوة إلى الله، وفي هذه الفترة اتصل به الوزير "فخر الملك " ابن "نظام الملك، وحمله على التدريس ثانية في " نظامية نيسابور " فاستجاب له، ودرس فيها مدة ولكن العمل لم يناسب حاله فعاد مرة أخرى إلى بلدته "طوس" وبنى لنفسه مدرسة بجوار بيته، وصار يوزع أوقاته بين التعليم والتأليف والأوراد والعبادة. (ابن خلكان، د، ت : ١٩٦)

## - إنتاجه العلمي :

لقد خلف الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – تراثا ضخما من المؤلفات شملت أكثر علوم عصره من الفقه والكلام، والفلسفة، والمنطق، والأخلاق والتصوف، كما تناولت الردود المختلفة على كثير من الفرق والمذاهب دينيه كانت أو فلسفية، إسلامية أو غير إسلامية

يقول : الإمام النووي – رحمه الله – (د. ت) ((سمعت شيخنا البتليسي حفظه الله مرات يقول أحصيت كتب الغزالي – رحمه الله – تعالى التي صنفها، ووزعت على عمره فخصصت كل يوم أربع كراريس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)). (ص ١٩٧)

وقد أحصى بدوي (١٩٧٧ م) أغلب ما تيسر إحصاؤه من مخطوطات كل كتاب من كتب الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – الصحيحة والمنسوبة والمنحولة في مختلف العلوم إلا أن الباحث سوف يعرض أشهر الكتب المعروفة وهي :–

١– التعليقة في فروع المذهب.

٢– المنخول في علم الأصول.

٣– البسيط في الفروع.

٤– الوسيط المحيط بآثار البسيط.

٥– الوجيز في الفقه الشافعي.

٦– شفاء الغليل في القياس والتعليل.

٧– فتاوى الغزالي.

٨– تهذيب الأصول.

٩– المستصفى من علم الأصول.

١٠– غاية الغور في دراية الدور.

١١– لُباب النظر.

١٢– مقاصد الفلاسفة.

١٣– تهافت الفلاسفة.

١٤– معيار العلم في المنطق.

١٥– معيار المعقول.

١٦– محك النظر في المنطق.

١٧– ميزان العمل.

١٨– إحياء علوم الدين – من أوسع كتبه انتشاراً ورواجاً –

١٩– بداية الهداية.

٢٠- كيمياء السعادة : وقد ألفه بالفارسية باسم (كيمياي سعادت).

٢١- أيها الولد - رسالة وجيزة ونصيحة رائعة إلى أحد تلاميذ الغزالي.

٢٢- نصيحة الملوك : وقد ألفه بالفارسية وترجم إلى العربية.

٢٣- مكاشفة القلوب المقربة إلى حضرة علام الغيوب.

٢٤- المستظهري في الرد على الباطنية ويسمى أيضا "فضائح الباطنية " وقد نسبه الغزالي إلى الخليفة (المستظهر) الذي كلفه بوضعه.

٢٥- حجة الحق في الرد على الباطنية.

٢٦- قواصم الباطنية.

٢٧- الاقتصاد في الاعتقاد.

٢٨- الرسالة القدسية في قواعد العقائد - كتبت في القدس -

٢٩- المعارف العقلية ولباب الحكمة الإلهية.

٣٠- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

٣١- كتاب في مسألة كل مجتهد مصيب.

٣٢- جواب مفصّل الخلاف.

٣٣- جواهر القرآن.

٣٤- كتاب الأربعين في أصول الدين.

٣٥- القسطاس المستقيم.

٣٦- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.

٣٧- إلجام العوام عن علم الكلام.

٣٨- كتاب المضنون به على غير أهله.

٣٩- المضنون به على أهله.

٤٠- الرسالة اللدنية.

٤١- مشكاة الأنوار.

٤٢- الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين.

٤٣- المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال.

٤٤- الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة.

٤٥- سر العالمين وكشف ما في الدارين.

٤٦- أسرار معاملات الدين.

### وفاتـه :

لمـــا دعى داعي الحال أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر قبضت روحه " يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة لعام ٥٠٥ هـــ، ودفن بأرضه في طوس ".

(ابن كثير، ١٣٩٨ هـــ : ١٧٤)

## ثانياً : المفاهيم الأساسية

### - مفهوم السلوك :

أوضح مجمع اللغة العربية (د. ت) مفهوم السلوك بأنه " سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يُقال : فلان حَسَنُ السلوك أو سيئ السلوك. (ص ٥٤٥)

كما أفاد الشناوي (١٤٠٧هـــ)"بأن السلوك يعني الدخول في الشيء ". (ص١٣٧)

وأشـــار الهـــاشمي وعبد السلام (١٤٠٠ هـــ) بأن " السلوك هو النشاط الصادر عن الكائن الحي أياً كان هذا النشاط من حيث نوعيته. فقد يكون النشاط شعورياً أو لا شعورياً، ظاهرياً أو باطنياً، إرادياً أو لا إرادياً، مقصوداً أو غير مقصوداً ". (ص ٢)

ويـــرى راجـــح (د. ت) أن العلماء في علم النفس قد اختلفوا في تحديد معنى السلوك فمـــنهم مـــن يقصـــره على النشاط الحركي الظاهر الذي يمكن ملاحظته خارجياً، كالمشي، والكـــلام، والأكـــل، ومنهم من يعني به – السلوك – كل ما يصدر عن الإنسان من نشاط ظاهـــري كالمشي والكلام ونشاط باطني كالتفكير والتذكر والانفعال فالنشاط الحركي يعتبر نشاطاً نفسياً أيضاً ما دام يصدر عن الإنسان وهو يتعامل مع بيئته. (ص ١٠)

وبذلك يتضح أن السلوك الإنساني قد يمتزج بأي صفة جوهرية فلو كانت الصفة حسنة جاء السلوك حسناً مقبولاً وإن كانت الصفة سيئة دلت على سلوك سيئ غير مقبول. كما تناولت بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس مفهوم السلوك في ضوء ما يصدر عن الفرد من أفعال وأقوال خارجية فقط، في حين تناول البعض الآخر دراسة السلوك دراسة متعمقة، فحاولوا التعرف على مكونات السلوك الشخصي وتركيباته وديناميات المختلفة الكامنة ومعرفته ومحاولة استنتاجه من السلوك نفسه. وبذلك عُرف – السلوك – بأنه الاستجابة الكلية التي يبديها الكائن الحي إزاء أي موقف يواجهه.

## - مفهوم الأخلاق :

الأخلاق : جمع خُلُقْ بضم الخاء المعجمة وبضم اللام وبسكونها والخُلُق يطلق في اللغة على معاني هي : الدين، الطبع، السجية، المروءة. مأخوذة من الخلق وهو التقدير. (الفيروز أبادي، ١٩٧٢ م : ٢٢٩)

وجاء في معجم مقاييس أللغة أن الخاء واللام والقاف اصلان يدل أحدهما على تقدير الشيء والآخر على ملاسته أما الأول فيقال فيه : خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته ... ومن ذلك : الخُلُقْ وهي السجية لأن صاحبها قد قدر عليه، وفلان خليق بكذا، وأخَلَقَ به، وما أَخْلَقَهُ أي هو ممن يُقَدَّر فيه ذلك، والخَلاَقْ النصيب لأنه قد قُدِرْ لكل أحد نصيبه.أما الأصل الثاني فيقال فيه : صخرة خَلْقَاءْ أي : ملساء ... ومن هذا الباب أخلق الشيء وَخلّقَ وخَلِقَ إذا بلى. (زكريا، ١٣٧١هـ : ٢١٣)

وذكر الأصبهاني (١٣٨١ هـ) " أن الخَلْقْ يُقال في معنى المخلوق والخَلْقَ والخُلُقْ في الأصل واحد كالشَّرَبْ والشُرُبْ ...، لكن خص الخَلْقْ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُقْ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ". (ص ١٥٨)

وقد شرح العسقلاني (١٤٠٧ هـ) القول السابق بأن الخُلُق " عبارة عن كل مرغوب فيه إما من جهة العقل، وإما من جهة العرض، وإما من جهة الحسن، وأكثر ما يقال في عرف العامة فيما يدرك بالبصر، وأكثر ما جاء في الشرع فيما يدرك بالبصيرة ". (ص ٤٧١)

وأوضح ابن الأثير (د. ت) حقيقة الخُلُقْ بأنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسية وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمثلة الخَلْقْ وبصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها وهما أوصاف حسنه وقبيحة، فالتراب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. (ص ١٥٩)

يقول القرطبي (د. ت) : ((وحقيقة الخُلُق في اللغة : ما هو يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خُلُقاً، لأنه يصير كالخلقة فيه، وأما ما طُبع عليه من الأدب فهو الخِيم بالكسر : السجية والطبيعة، لا واحد له من لفظه. وخِيم : اسم جبل. فيكون الخُلُق الطبع المتكلف. والخِيم الطبع الغريزي)). (ص ٦٧٠٦)

من خلال المعاني السابقة للسلوك والخُلُق يصف الإمام أبوحامد الغزالي –رحمه الله– معنى السلوك الخُلُقي فيقول : ((الخَلْقُ والخُلُقْ عبارتان مستعملتان معاً يقال : فلان حَسُنَ الخَلْقُ والخُلُقْ – أي حَسُنَ الباطن والظاهر فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة ويعني السلوك، ويراد بالخُلُقْ الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة)). (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٥٣)

فلكل إنسان صورة ظاهرة تتمثل في تصرفاته وأفعاله، وصورة باطنة تدل على صورته الباطنة كالحلم والعلم والصبر والجود وهي الباطن النفسي الخُلُقي للإنسان، فإذا كانت أعماق الذات الإنسانية ذات مخزون أخلاقي محمود كان السلوك الخُلُقي محموداً، والعكس إذا كان غير ذلك. وإذا صلحت الصورة الظاهرة قيل فلان حَسُنَ الخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام وإن حسنت الصورة الباطنة قيل فلان حَسُنَ الخُلُقْ بضم الخاء واللام فإن جمع الله له بين الحسنيين فقد أتم عليه الصورتين، ولم ينل أعلى درجة في حسن الصورتين أي السلوك الخُلُقي (الخارجي والداخلي) غير نبينا سيدنا محمد ﷺ فقد كان أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً وأولهم إلى مكارم الأخلاق سبقاً وإذا ساءت صورة الظاهر قيل فلان سيئ الخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام أو صورة الباطن قيل سيئ الخُلُق بضمهما أي سلوكه غير سوي. (الهدار، د. ت)

ومفهوم السلوك الخُلُقي وحده لا يعطي معنى الأخلاق الحسنة فقد تحتمل المعنيين الحسن والقبيح، إذ الغرض من ذلك بيان كيفية اكتساب السلوك الخُلُقي المحمود والتخلص من

السـلوك الخُلُقي المذموم ؛ لأن السلوك الخُلُقي اصطلاحاً يطلق على الصفة السلوكية محمودة كانت أم مذمومة. (عبد الرحمن، ١٤١٢ هـ : ١٧٦)

## ثالثاً : الدراسات السابقة

لا يزال فيض من البحوث والدراسات يخرج بالكثير والجديد عن فكر الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – ويتبارى الباحثون بمختلف مشاربهم ومناهجهم العلمية في دراسة واستخراج كنوزه الفكرية، وما ادعى أحد منهم أنه بلغ في بحثه النهاية، وهم معترفون ومجمعون أنهم أمام قمة من الفكر، متعددة السمات، متميزة الأوصاف. و يجسد هذه الحقيقة ما ذكره أبو سليمان (١٤٠٤ هـ) أن الشيخ المراغي قال : ((إذا ذكرت أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من فروع العلم، وشعب المعرفة ... أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر بالبال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدره وقيمته ... إن شئت فقل إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره، رجل متعطش إلى معرفة كل شئ فهم إلى جميع فروع المعرفة)). (ص ٣٢٤)

وقد وجد الباحث ما يزيد على خمس وستين رسالة ماجستير، ودكتوراه تتناول فكر الأمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – وكان معظمها في العلوم الشرعية وأصول الفقه والآداب الإنسانية وقليل منها في الجوانب التربوية والنفسية. كما وجد الباحث دراستين تتناول جانب الأخلاق عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – بجامعتي أنقرة ومرمرة بتركيا إلا أن هذه الدراسات مكتوبة باللغة التركية – كما أفاد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – وهي :-

١ – دراسة قو شاغر، علي أصفر (١٩٧٤ م) بعنوان " الأخلاق والتربية عند الغزالي " رقم التسلسل (٢٤٤٧٦).

٢ – دراسـة ريجي، مصطفى جاغير (١٩٨١ م) عن " الأخلاق الإسلامية نظرياً وعلمياً عند الغزالي " رقم التسلسل (٢٤٤٧٥)

إلا أن الباحـــث سوف يتناول البحوث و الدراسات العلمية وفصولاً في بعض الكتب المطبوعة، والتي تتقارب مع الدراسة الحالية، وقد اطلع عليها الباحث وهي تمثل مرجعية نظرية لدراسته.. لكي يستنير ويستفيد منها وذلك بعرض خلاصتها وهـــذه الدراسات هي :-

- دراسة (مبارك، ١٩٢٤م)
- دراسة (البريزات، ١٤٠١ هـــ)
- العثمان (١٤٠١ هـــ)
- دراسة (الشناوي، ١٤٠٧ هـــ)
- دراسة (الشيخ، ١٤٠٨ هـــ)
- نجاتي (١٤١٤ هـــ)
- ربيع (١٤١٥ هـــ)
- دراسة (السليماني و بار، ١٤١٦ هـــ)
- دراسة (سلتي، ١٤١٨ هـــ)

## ـ عرض الدراسات السابقة :

دراسة مبارك (١٩٢٤م) تحت عنوان " الأخلاق عند الغزالي " وتحتوي هذه الدراسة على أربعة عشر باباً قام الباحث في مستهلها بإعطاء نبذة ذاتية عن الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – وما قام به من رحلات علمية ثم أشار إلى المصادر التي أخذ منها الإمام فلسفته الأخلاقية، وذكر في الباب الرابع من دراسته مؤلفات الإمام الغزالي وطريقته في البحث والتأليف وخصص بقية رسالته في الموضوعات الأخلاقية والسلوكية عن الخير والشر والحسن والقبيح وطريقة تهذيب الأخلاق والفضائل الخلقية مثل الصدق والصبر والتوكل والإخلاص. كذلك أشارت الدراسة إلى الأساليب الوقائية التي تمس كرامة الإنسان مثل الغضب والحقد والحسد والعجب والرياء وآفات اللسان وفي النهاية قام الباحث بالمقارنة بين آراء الغزالي وفلاسفة آخرين مثل كانت الألماني، وستيورات ميل، وهربرت سبنسر.

دراسة البريزات (١٤٠١ هـــ) حول" التربية الخلقية عند الإمام الغزالي " حيث جاءت الدراسة في سبعة فصول يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً : واقع التربية في البلاد العربية، وتعريف التربية الخلقية ومصادرها.

ثانياً : المنهج الذي استخدم في هذه الدراسة – المنهج التحليلي التركيبي.

ثالثاً : نظرية المعرفة عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – من حيث طبيعتها ومصادرها وخصائصها، وأنواع العلوم الناتجة عنها، وظروف حدوثها عند الإنسان، وأثرها في كيانه وعمله وأخلاقه وسلوكه، وكيفية نشوء الفكر الإنساني، وانعكاس كل ذلك على التربية الخلقية.

رابعاً : تناول الباحث السابق نظرية الوجود، حقيقته وخصائصه واثر ذلك على التربية الخلقية

خامساً : تطرق الباحث إلى نظرية النفس الإنسانية من حيث مكوناتها ومراتبها وأقسامها وقواها التي تحتاج إلى تهذيب، والعلاقة بين الروح والبدن، وانعكاس كل ذلك على التربية الخلقية.

سادساً : تناول الباحث نظرية القيم من خلال الأمور التالية : السعادة والشقاوة والفضيلة والعلم والعمل، واثر كل ذلك على التربية الخلقية.

سابعاً : كشف الباحث عن نظرية التربية الخلقية عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – من حيث الأهداف والخصائص والمناهج والأساليب.

أشار العثمان (١٤٠١ هـ) في كتابه " الدراسات النفسية عند المسلين والغزالي بوجه خاص " حيث كتب في الباب الثاني عن السلوك عند الإمام أبي حامد الغزالي فقد تناول موضوع السلوك وأنواعه، وعناصره، ومن حيث كونه موجهاً لغاية دينية سامية، ثم ربط الباحث السابق في تعريفه للسلوك بعملية تهذيب الأخلاق والاشتغال بعمارة الظاهر والباطن حيث اعتبر الأخلاق صفة للسلوك، كما أوجز الباحث بين ثلاثة أنواع من السلوك كما ذكرها الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – وهي :-

١ – الفعل الطبيعي.

٢ – الفعل الضروري.

٣ – السلوك العقلي الإرادي.

كذلك لخص الباحث في الفصل الحادي عشر تحليل مفهوم الأخلاق وأهميتها، ومدى قابلية الأخلاق والسلوك للتعديل، ووجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي حول تربية الطفل على الأخلاق الحسنة الدالة على السلوك السوي.

وقام الشناوي (١٤٠٧ هـ) بتقديم بحث نظري عن " أنموذج تهذيب الأخلاق عند الغزالي ومقارنته بأنموذج العلاج السلوكي الحديث " من واقع كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب الذي يقع ضمن مصنف إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – حيث تناولت هذه الدراسة :

أولاً : عرضاً عاماً للعلاج السلوكي الحديث – تعريفه وخصائصه.

ثانياً : عرضاً مقارناً بين العناصر التي أشتمل عليها أنموذج رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب للغزالي – رحمه الله – وبين عناصر العلاج السلوكي الحديث، وذلك في الجوانب التالية :-

١ – الأخلاق والسلوك.

٢ – السلوك بين الفطرة والاكتساب.

٣ – قابلية السلوك للتغيير (التعديل).

٤ – تقدير السلوك (التشخيص).

٥ – الفروق الفردية.

٦ – استعداد المريض ودافعيته للعلاج.

٧ – تناول المشكلات واحدة بعد الأخرى.

٨ – أساليب العلاج السلوكي وأساليب رياضة الأخلاق.

٩ – تقويم نتائج العلاج.

ويرى الشناوي في نهاية بحثه تفوق الأنموذج الذي تحدث عنه الإمام أبوحا مد الغزالي – رحمه الله – لتعديل السلوك في بعض العناصر، وجعله أنموذجاً متكاملاً لتفسير سلوك الإنسان و للوصول إلى نماذج إسلامية أصيلة أخرى تقوم على المنهج الإسلامي.

كما قام الشيخ (١٤٠٨ هـ) بدراسة عن" فلسفة الأخلاق العملية عند الغزالي " حيث قسم الدراسة إلى سبعة فصول هي :

أولاً : تمهيد حول الأخلاق النظرية مبادئها ومناهجها.

ثانياً : الأخلاق الإسلامية من حيث مصدرها وأهم خصائصها.

ثالثاً : الأخلاق عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله –

رابعاً : قسم الباحث الفصل إلى قسمين :

القسم الأول :-

١- النفس

٢- الضمير الأخلاقي.

٣- السعادة عند الغزالي.

القسم الثاني :-

١- مفهوم الخلق ومقاييس حسنه وسوئه.

٢- مبحث الفضيلة.

٣- مبحث الأنا والآخرين.

خامساً : عالج الباحث التجربة الأخلاقية باعتبارها نمطاً متميزاً يعتمد على العمل وحده في اكتساب مكارم الأخلاق عند الأمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله –.

سادساً : مفهوم التربية،حيث أستعرض الباحث نموذجين لنظرية التربية:

النموذج الأول : فسلفة التربية المثالية بالتطبيق على أفلاطون.

النموذج الثاني : فلسفة التربية البراجماتية.

سابعاً : الخلاصة. وقد خلص الباحث السابق إلى أن مذهب الإمام أبي حامد الغزالي في الأخلاق هو مذهب التكامل الأخلاقي الذي يرى أن الخير الأعلى هو الكمال النفسي، والوصول إلى السعادة الدينية المتحققة في دوام القرب من الله في الدنيا والآخرة، وميزان هذه السعادة الدينية هو الشرع و العقل.

ضمن نجاتي (١٤١٤ هـ) في كتابه " الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين " فصلاً كاملاً عن الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – حيث تضمن كلامه الإشارة إلى مفاهيم

الإمـــام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – عن قوى النفس الحيوانية، وما تتضمنه من قوى محركة وقوى مدركة، ومراكز القوى المدركة من الباطن، وتعرض الباحث إلى معاني الإدراك العقلي عند الغزالي، وتطرق إلى الدوافع والميول النفسية عند الإنسان، ملامح وحدة النفس الإنسانية، كما تناول الباحث مفهوم تعديل السلوك عند الغزالي، وتعريف الخلق ومدى قبولها للتغير، ثم أســـتعرض أسلوب الغزالي في تعديل السلوك، وفي نهاية الفصل استعرض الباحث أحد أساليب الغزالي في علاج الكبر.

أوضح ربيع (١٤١٥ هـــ) في كتابه " التراث النفسي عند علماء المسلمين " في الباب التاسع عن الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – حيث قسم الباب إلى ثمانية فصول، ناقش في الفصل الثامن موضوع الفضيلة والسعادة عند الإمام أبي حامد الغزالي حيث تحدث في النقاط التالية :

أولاً : تعريف الفضيلة. وتنقسم إلى :–

أ – فضيلة الحكمة.

ب – فضيلة الشجاعة.

ج – فضيلة العفة.

د – فضيلة العدالة.

ثانياً : العلاقة بين قوى النفس والفضائل.

ثالثاً : السعادة الإنسانية.

رابعاً : السبيل إلى بلوغ الفضيلة والسعادة.

خامساً : غاية العمل الخلقي.

كما قام السليماني و بار (١٤١٦هـــ) بدراسة عن " الخلق منظور تربوي نفسي لدى كل من ابن مسكويه والغزالي" وقد استعرض الباحثان في بداية الدراسة مفهوم الخلق عند ابن مسكويه والغزالي والدراسات النفسية الحديثة في علم النفس مثل : الهاشمي وراجح و ولسون وزملائه. كما استعرضا عوامل تغيير وتعديل وتنمية الخلق عند ابن مسكويه والغزالي – رحمهما الله – وكيفية اكتساب الخلق الحسن والتنشئة الخلقية وطرق الوقاية من السلوك الخُلُقي المنحرف ثم تحدثا عن أساليب تنمية السلوك الخُلُقي لدى الأطفال من وجهة نظر ابن مسكويه

والإمام أبي حامد الغزالي – رحمهما الله – و بعض ما جاء به علماء الدراسات النفسية الحديثة المهتمون بالأخلاق. وأخيراً عرجا إلى الآداب السلوكية وكيفية علاجها إلى أحسن السلوك وأفضل الطرق لمراقبة الناشئة في عملية المتابعة والتقويم التربوي المؤثرة في التنشئة الاجتماعية.

وأجرى سلتي (١٤١٨ هـ) دراسة بعنوان " مدى استفادة المدرسة الابتدائية من التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي ". حيث قسم الباحث الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة وهي :-

أولاً : التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – وسيرته الذاتية والعلمية.

ثانياً : معنى الأخلاق، وأهميتها، وفضيلة حسن الخلق وعلاماته، ومدى تغيير الخلق السيئ.

ثالثاً : التربية الخلقية عند الغزالي – رحمه الله –.

رابعاً : بعض الجوانب التطبيقية للتربية الخلقية عند الغزالي – رحمه الله –

خامساً : التصور المقترح للتربية الخلقية في المدرسة الابتدائية في ضوء آراء أبي حامد الغزالي – رحمه الله –. وخلص الباحث في نهاية الدراسة إلى بعض النتائج نذكر منها :

١ – يرى الغزالي أن الخُلُق هو : هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، وأن الأخلاق مكتسبة يمكن تغييرها.

٢ – يرى الغزالي أهمية دور الوالدين والمدرسة في غرس التربية الخلقية للأطفال.

٣ – يؤكد الغزالي على دور المؤسسات في إكساب التربية الخلقية، مثل الأسرة والبيئة.

٤ – يرى الغزالي أن هناك عدداً من الوسائل والأساليب تلعب دوراً في إكساب الطفل التربية الخلقية مثل : المراقبة – القدوة – الثواب والعقاب اللعب.

٥ – يرى الغزالي الاهتمام بتأديب الطفل حتى في كبره وذلك بمحاسبته وتعويده على بعض الآداب.

## - التعليق على الدراسات السابقة :

توضح الدراسات السابقة الكثير من المفاهيم التي تفيد الدراسة الحالية فيما يتعلق بكثير من جوانبها برغم اختلاف تخصصاتها العلمية، وسوف يتم تناول الدراسات السابقة بالمناقشة من خلال ما تم استعراضه :

تعتبر دراسة مبارك (١٩٢٤ م) أطروحة دكتوراه في الآداب فهي أقرب إلى الأدب منها إلى استخلاص نظرية في الأخلاق، كذلك لم تعتن الدراسة بإظهار الجوانب التربوية والنفسية المقارنة لدى الإمام الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة.

أما دراسة البريزات (١٤٠١ هـ) ومن وجهة نظر الدراسة الحالية فتتميز بأنها واحدة من الدراسات الجيدة، إذ تمتاز بالتبويب الجيد وحسن التنظيم وترابط الأفكار، إلا أن الباحث لم يظهر مقارنة هذه الدراسة مع ما توصلت إليه بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة ولعل البريزات وضعها تحت مسمى نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي بسبب أنها قد تخدم البحوث التربوية فقط دون التعرض لآراء ونتائج البحوث والدراسات التربوية والنفسية معاً.

كما يرى باحث الدراسة الحالية أن دراسة العثمان (١٤٠١ هـ) قد قدمت تصنيفاً وتحليلاً حول مفهوم السلوك والأخلاق عند الإمام أبي حامد الغزالي إلا أن العثمان في دراسته لم يربط إسهامات الإمام أبي حامد الغزالي مع ما توصلت إليه بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة حول مفهوم السلوك والأخلاق، كذلك فصلت الدراسة مفهوم السلوك ومفهوم الأخلاق كلاً على حدة. إلا أنها محاولة قيمة لمسايرة منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

وتتميز دراسة الشناوي (١٤٠٧ هـ) بأنها واحدة من الدراسات النفسية الجيدة، التي سايرت حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس. خاصةً أنها أُعدت من قبل باحث يملك خبرة علمية نابعة من فهم علمي سليم مما زاد هذا الدراسة نضجاً وفهما عميقاً للمفاهيم والمصطلحات المستخدمة في هذه الدراسة. ومن وجهة نظر الدراسة الحالية امتازت هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة بالآتـــي:-

١ - ذكرت وجهتي نظر كل من الإمام أبي حامد الغزالي - رحمه الله - و بعض الاتجاهات والدراسات النفسية الغربية الحديثة حول الموضوع محل الدراسة.

٢ - دقة تفسير المفاهيم والمعاني التي يقصدها الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - الموجودة في كتبه، وإن كان الباحث قد أقتصر على كتاب " رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب " الذي يقع ضمن مصنف إحياء علوم الدين في الجزء الثالث. رغم قوة تلك المزايا إلا أن الباحث لم يتناول بعض الكتب التي تحتوي على مفاهيم ومصطلحات تربوية ونفسية قيمة خاصة بتهذيب الأخلاق مثل كتاب روضة الطالبين

وعمدة السالكين،وكتاب كيمياء السعادة، وكتاب الرسالة الوعظية، وكتاب ميزان العمل، وكتاب المنقذ من الضلال، وغيرها من الكتب الأخرى.

و أظهرت دراسة الشيخ (١٤٠٨ هـ) جانباً هاماً من جوانب فلسفة الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – في الأخلاق، إلا أنها لا تخلو من بعض الملاحظات منها :

١ – لا توجد دلالات نفسية واضحة في الدراسة السابقة تربط بين ما ذكره الأمام أبي حامد الغزالي ومفاهيم ومصطلحات علم النفس حول مضمون فلسفة الأخلاق العملية، ولعل السبب يعود لكون الدراسة متخصصة في الفلسفة الإسلامية، أو لعدم كون الباحث متخصصاً في أحد فروع علم النفس.

٢ – لم يذكر الباحث أي مقارنات أو أوجه الاتفاق والاختلاف بين مفاهيم ومصطلحات الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الحديثة أو الدراسات الفلسفية الأخرى.

أما دراسة نجاتي (١٤١٤ هـ) فمن وجهة نظر الدراسة الحالية يلاحظ أنها قدمت مفاهيم أصيلة للإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – إلا أنها اكتفت بعرض تلك المفاهيم من خلال بعض مؤلفات الإمام – رحمه الله – ولم يتناول الباحث بعض الكتب المهمة التي توضح ملامح السلوك والأخلاق مثل كتاب ميزان العمل، ومشكاة الأنوار، والرسالة الوعظية، وكيمياء السعادة، ومنهاج العارفين، ومعراج السالكين. كذلك ربط الباحث بين ما جاءت به الدراسات النفسية الحديثة وبين ما يقصده الإمام أبو حامد الغزالي في مؤلفاته برغم اختلاف الغايات والمقاصد التي يرمي إليها الغزالي في كتبه. إلا أنها تعتبر دراسات قيمة ونماذج أصيلة حول موضوع السلوك والأخلاق.

أما دراسة ربيع (١٤١٥ هـ) فقد تمت تحت أحد فصول كتابه " التراث النفسي عند علماء المسلمين "، حيث يتميز هذا الفصل بالإيجاز عند استعراض المفهوم الخاص بالخُلُق عند الإمام أبي حامد الغزالي. إلا أن الباحث لم يقارن دراسته بالدراسات النفسية الغربية الحديثة.

كما أن دراسة السليماني وبار (١٤١٦ هـ) تعتبر من أقرب الدراسات النفسية القائمة على المنهج الوصفي (التاريخي، الوثائقي)، وتحليل المعلومات المرتبطة بمفهوم الخُلُق عند الإمام أبي حامد الغزالي وابن مسكويه – رحمهما الله – وبخاصة أنها أُعدت من متخصصين في ميدان

البحوث والدراسات النفسية، حيث تميزت بجودة وانتقاء وتوضيح المفاهيم والمصطلحات لكل من ابن مسكويه والإمام أبي حامد الغزالي ووجهة نظر الدراسات النفسية الغربية الحديثة.

أما دراسة سلتي (١٤١٨ هـ) فتميزت بالعرض الجيد والانتقاء المناسب للمفاهيم والمصطلحات الخاصة بموضوع الدراسة، وخاصة أنها تخدم الجوانب التربوية وإشارات عامة لبعض الجوانب النفسية، إلا أنها لم تتناول دراسة آراء الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس، وقد يرجع السبب إلى تركيزها لتحقيق أهداف خاصة بالتربية المقارنة.

ونظراً لاستكمال بعض الإضافات في الجوانب التربوية والنفسية في الدراسات السابقة بصفة عامة لدى الإمام أبي حامد الغزالي وبالذات مفهوم السلوك الخُلُقي وما يرتبط به على نحو خاص. فقد اهتمت الدراسة الحالية بالمبادئ الراسخة التي تمتزج بالذات الإنسانية و تصبح سلوك عمل يُلتزم به بالصبر والمصابرة والمجاهدة وابتغاء مرضاة الله بعيداً عن أساليب قهر النفس وتضجرها، وقد تناول الأمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – أحد هذه المفاهيم بالتوضيح. فتناولت الدراسة الحالية مفهوم السلوك الخُلُقي كوحدة متفاعلة وارتباطه ببعضه البعض ؛ فلا سلوك بدون خُلُق ولا خُلُق بدون سلوك،وأسس السلوك الخُلُقي وأهمية الإيمان في ضبط باطن وظاهر ذات الإنسان، وخصائصه، والمعيار الذي يُبنى عليه، وسُبل اكتسابه، والهدف الأسمى من اقتفاء هذا السلوك الخُلُقي القويم.

# الفصل الثالث

# إجراءات الدراسة

- منهج الدراسة.
- أدوات الدراسة.

## منهج الدراسة :

قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي (التاريخي، الوثائقي) وذلك للوصول للمعلومات كأسلوب للإجابة عن أسئلة الدراسة، من خلال تحديد وجمع وتبويب واستخراج النصوص والمفاهيم والأفكار المتصلة بموضوع الدراسة من مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – وتحليلها ومناقشتها ومقارنتها بالاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس، لاستخراج الاستنتاجات المتصلة بالإجابة عن تساؤلات الدراسة، حيث أن المنهج الوصفي

(التاريخي، الوثائقي)" هو المنهج الذي يُطبق عند دراسة وقائع وحالات ماضية ذات ارتباط بالحاضر من خلال المصادر التاريخية والمعاصرة أساسية كانت أم ثانوية ". (العساف، ١٤١٦ هـ : ٢٠٣)

## أدوات الدراسة :

استخدم الباحث المنهج نفسه – الوصفي (التاريخي، الوثائقي) – كأداة لفحص مصادر ومؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي، والمراجع المعاصرة من كتب وبحوث ودراسات ومقالات لبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة المتعلقة بالموضوع محل الدراسة ؛ لاستخراج المعلومات والنتائج ذات الصلة بالإجابة عن أسئلة الدراسة الواردة في مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي مثل : كتاب إحياء علوم الدين، و كتاب ميزان العمل، وكتاب المنقذ من الضلال، وكتاب الرسالة اللدنية، وكتاب منهاج العارفين، وكتاب منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، وكتاب روضة الطالبين وعمدة السالكين، ورسالة أيها الولد، وكتاب كيمياء السعادة، وكتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس، وكتاب الأربعين في أصول الدين، وكتاب مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، وكتاب بداية الهدية، وكتاب إلجام العوام عن علم الكلام، وكتاب القسطاس المستقيم، وكتاب المستصفى من علم الأصول.

# الفصل الرابع

# إسهامات الإمام أبي حامد الغزالي -رحمه الله-

# التربوية والنفسية

- مفهوم السلوك الخُلقي.
- أسس السلوك الخُلقي.
- خصائص السلوك الخُلقي.
- معيار السلوك الخُلقي.
- سُبُل اكتساب السلوك الخُلقي.
- هدف السلوك الخُلقي.

# مفهوم السلوك الخُلُقي

أكد الإمام أبو حامد الغزالي على أهمية تداخل وامتزاج السلوك الخُلُقي كمفهوم متكامل ومؤثر في بناء جوانب النفس الإنسانية. فقال : ((اعلم أن السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف ؛ وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن)). (الغزالي، ١٤١٤ هـ : ١٣)

كما استخدم الإمام أبو حامد الغزالي اصطلاح الخُلُق للدلالة على السلوك الخُلُقي أو بمعنى آخر كل جوانب النفس الإنسانية وبذلك فقد عرَّف السلوك الخُلُقي بأنه : ((عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر وفي غير حاجة إلى فكر و روية، فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً)). (الغزالي، د. ت، ج٣ :٥٣)

وقد شرح الإمام هذا التعريف فقـــال : ((وإنما قلنا إنها هيئة راسخة ؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم)) (المرجع السابق : ٥٣)

كما ضرب مثالاً للتعريف السابق فقال : ((وينبغي أن تعلم أن من يبذل تكلفاً فليس بسخي، وأن من يتواضع تكلفاً فهو ثقيل على نفسه، وهو عاطل عن خُلُق التواضع، بل الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير روية وتكلف. لكن التكلف هو طريق تحصيل الخُلُق، فإنه لا يزال يتكلف أولاً حتى يصير ذلك طبعاً وعادة)). (الغزالي، ١٤٠٠ هـ : ١٣٧)

ثم أوضح الإمام أبو حامد الغزالي أن السلوك الخُلُقي يشتمل على جوانب أربعة هي :

أ – فعل الجميل والقبيح.

ب – القدرة عليهما.

ج – المعرفة بهما.

د – هيـــئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح. (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٥٣)

ويصل الإمام أبو حامد الغزالي بعد ذلك إلى أن السلوك الخُلُقي عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وأن هذا الباطن لا بد من حُسن أركانه ليتم حُسن الظاهر ولا تتناسب هيئة النفس الباطنة والظاهرة – السلوك الخُلُقي – إلا من خلال اعتدال أربعة أركان هامة في الذات الإنسانية فيقول : فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حُسن الخُلُق وهو :

أ – قوة العلم.

ب – وقوة الغضب.

ج – وقوة الشهوة.

د – وقوة العدل.

أ – أمـــا قـــوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا صـــلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة – وهي التي قال الله فيها : ﴿... وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ البقرة:٢٦٩]

ب – وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة.

ج – وكذلـــك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة، أعني إشارة العقل والشرع.

د – أما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع. (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٥٤)

كما أكد الإمام أبو حامد الغزالي في موضع آخر على أهمية النشاط النفسي الباطني من الميل والرغبة أو النية والإرادة والعادة كاستجابة كلية يبديها الإنسان إزاء أي موقف يواجهه. وحتى تتضح رؤية الإمام – رحمه الله – بصورة أوضح فقد ضرب مثالاً يتناول فيه خطوات النشاط النفسي الداخلي وعلاقته في تكوين السلوك الخُلُقي المعتاد في الذات الإنسانية فيقـــول:

أ – أول ما يرد على القلب الخاطر، كما لو خطر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو ألتفت إليها لرآها.

ب – هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس.

ج – حكم القلب بأن ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف، فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل، ويسمى اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والميل.

د – تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا ما نسميه ؛ همّاً بالفعل ونية وقصداً، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة، فإذا أنجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل. (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٤١)

يتضح مما سبق أن الإمام أبا حامد الغزالي تحدث عن السلوك الخُلُقي باعتباره مفهوماً يشمل كل جوانب الذات الإنسانية، حيث أكد على أهمية السلوك الباطني ودور الاستجابات النفسية الداخلية من الميل والرغبة أو النية والإرادة والعادة في رسوخ السلوك الخُلُقي الثابت كما أنه لا يعطي للسلوك الخُلُقي الظاهري غير المعتاد – المؤقت –، والمفرد وزناً ومضموناً إذا لم يكن سلوكاً معتاداً ويمارس يومياً بصفة اعتيادية مستمرة يصدر من هيئة نفسية راسخة متأصلة في جذور الذات الإنسانية.

أما مفهوم السلوك الخُلُقي عند بعض علماء النفس المحدثين فيعتبر " تكوين خاص لكل ذات راسخ في النفس " سواء كان فطرياً، أو مكتسباً تظهر آثاره في كافة جوانب شخصية الفرد. فالخُلُق عامل يؤثر في سلوك الإنسان وهو الصفة النفسية المؤثرة على المظهر الخارجي للسلوك. (زقزوق، ١٤٠٣ هـ)

أما من ناحية تكوين السلوك الخُلُقي فيرى زقزوق (١٤٠٣ هـ) أنه يتكون من الناحية النفسية بأن يبدأ ميلاً ضعيفاً في النفس، يشتد فيصير رغبة أو نية أو أمراً مرجواً ثم يصير إرادة راسخة في النفس، فعادة خُلُقية تصدر عنه أعماله في يسر وسهولة من غير حاجة إلى إعمال للفكر.

ويرى الهاشمي (١٤٠٤ هـ) أن السلوك الخُلقي " يمثل وحدة الدافعية ووحدة الإرادة كما يمثل وحدة الهدف النبيل في إطار من أنماط سلوكية معتادة حسنة، وما الذات الإنسانية إلا هذا التنظيم العميق المتوازن من مختلف العادات الحسنة بأنواعها والقيم الخلقية الراعية لها " (ص ١٤٩)

كما يقول الهاشمي (١٤٠٤هـ) : ((بأن السلوك الخُلُقي يُمثل تنظيم نفسي سابق ومتماسك يظل في النفس كامناً يظهر عندما يكون الموقف المناسب في نشاط الدافع واستقبال المثير والاستجابات الموفقة والناجحة)). (ص ١٤٨)

وقد أوضح السلمي (١٤١٨ هـ) " أن الخُلُق هو المحرك والمنظم للسلوك، فالخُلُق الحسن يدفع صاحبه إلى السلوك الخُلُقي المحمود، والخُلُق السيئ يدفع صاحبه إلى السلوك الخُلُقي المذموم، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخُلُق، والدليل عليه، والإنسان إنما يحكم على خلقه من خلال سلوكه، وهو أفعاله الظاهرة التي تدل على ما يكنه في نفسه ". (ص ٨٦)

وذكر الشناوي (١٤٠٧ هـ) أن الإمام أبا حامد الغزالي استخدم مصطلح الخُلُق باعتباره نمطاً من أنماط السلوك المتسقة والمتكررة وهو مفهوم يستخدمه أصحاب الاتجاه السلوكي المحدثون في علم النفس ليدلوا به على الشخصية وبذلك فإن ما يذكره الغزالي يتعلق بمفهوم كلي للذات الإنسانية وليس جانباً مجزءاً من ذات الإنسان. (ص ١٣٧)

ويتفق جوهري (١٤٠٥ هـ) مع ما أوضحه الإمام أبو حامد الغزالي بأن السلوك الخُلُقي" تسبقه عمليات نفسية يكون هو الخطوة الأخيرة لها، فالعادة هي الإرادة التي تتكرر وتصدر عن حالة راسخة تمتزج بها العوامل الداخلية النفسية من خواطر ورغبات وإرادة وعوامل خارجية تتمثل في العادة أو السلوك الظاهري الثابت نسبياً ". (ص ٧٣)

وذهب كثير من المهتمين بمفهوم السلوك الخُلُقي في بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة مثل " لالاند " بتعريف مفهوم السلوك الخُلُقي بوصفه السلوك الواقعي للناس، وبإمكان وسمها بعلم وصف السجايا أو الطبائع. وبمعنى مشابه تقريباً عرف " فولكييه " السلوك الخُلُقي بأنه منظومة قواعد السلوك التي ينبغي على المرء اتباعها ليحيا وفق طبيعته. (أحمد، ١٩٩٥م : ٥١)

ويستخدم اصطلاح الخُلُق أحياناً بمعنى السلوك الخُلُقي **Moral behavior** الذي يشير إلى درجة التنظيم الخُلُقي الفعال لكل قوى الفرد، ويشير إلى الاستعداد الدائم الذي يقمع في البواعث تبعاً لمبدأ تنظيمي معين ". (عيسوي، ١٩٩٢ م : ١٤٤)

وقد أوضح السليماني و بار (١٤١٦ هـ) كما أشار إليه الشيخ (١٩٨٢ م) بأن " ويلسون وآخرين " قد حاولوا تحليل السلوك الخُلُقي باعتباره مكوناً من الآتي :-

- اتجاه نحو الآخرين على أنهم مساوون للفرد.
- قدرة على فهم مشاعر الذات ومشاعر الآخرين.
- استيعاب مجموعة من المعارف والحقائق المرتبطة بالموقف المعين، إذ لابد أن يكون لدى الفرد فكرة معقولة عن نتائج أفعاله وأفعال الآخرين.
- مهارات اجتماعية تتعلق بكفاءة الفرد في القيام بالأدوار الاجتماعية التي يختارها أو تفرض عليه.
- مجموعة من القواعد أو المبادئ الخلقية التي يلتزم الفرد بها ويطبقها في المواقف المختلفة.
- مجموعة الخصائص التي تجعل من الفرد واعياً بالمواقف وتدفعه لأن يفكر تفكيراً خلقياً، وأن يترجم قراراته إلى أفعال مناسبة.

ومما سبق يتبين أن السلوك الخُلُقي عبارة عن قيمة ضمنية يستدل على وجودها من ملاحظة الاختيارات التي تظهر وتتكرر في سلوك الفرد والتي غالباً ما تكون متأثرة بالإطار المرجعي الذي ينتمي اليه الفرد.

يوضح الشكل رقم (١) مراحل تكوين السلوك الخُلُقي في الذات الإنسانية من الناحية النفسية عند كلٍ من الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – و بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس :

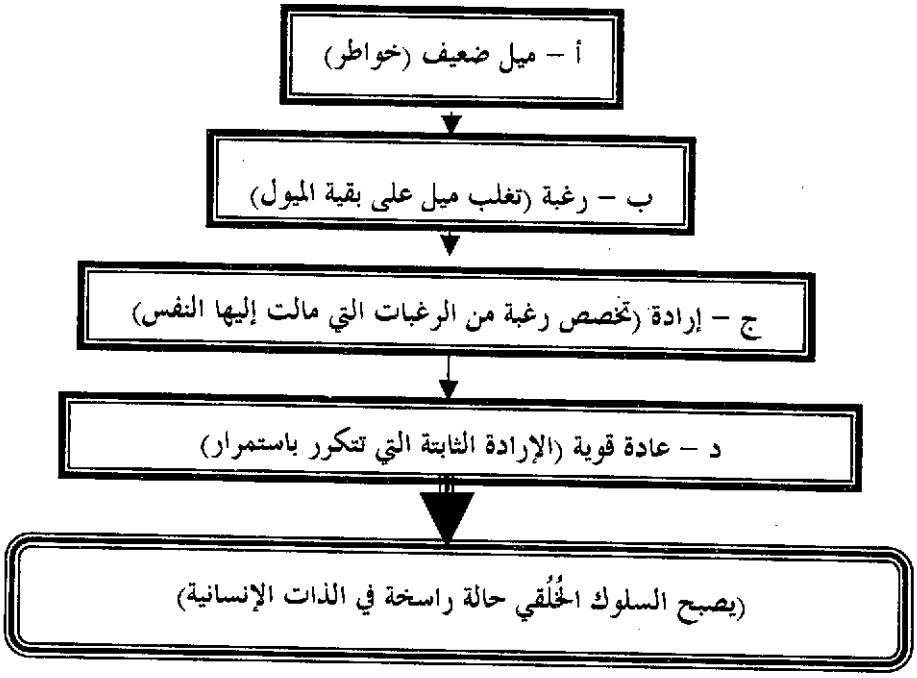


(أُخذت فكرة مراحل تكوين السلوك الخُلُقي من وجهة نظر الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس من زقزوق، ١٤٠٣ هـ)

من خلال الشكل السابق يتضح للباحث أن السلوك الخُلُقي بمفهوم الإمام أبي حامد يتكون نتيجة عناصر مجتمعة (أ + ب + ج + د) تعتبر بمثابة الأجزاء الهامة لتكوين السلوك الخُلُقي المحمود منه أو المذموم. وقد يكون في هذا نقاط مشتركة بين وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس وبخاصة ما أكدته اتجاهات

علماء النفس المعرفي، فقد توصل علماء النفس المعرفي أخيراً إلى أن كل عمل يبدأ بنشاط معرفي داخلي كخاطرة أو تخيل أو إدراك أو انفعال، وتوصلوا كذلك إلى أن هذا النشاط المعرفي إذا ازدادت قوته أصبح دافعاً للسلوك، وإذا قام الفرد بهذا السلوك المدفوع وكرره فإن الأفكار الداخلية حينئذ تكتسب القدرة على الإتيان بهذه الأعمال بطريقة تلقائية حتى تصبح عادة متأصلة.(بدري، ١٤١٥هـ)

ويرى الباحث أن الإمام أبا حامد الغزالي قد أكد على ضرورة أن يوجه السلوك الخُلُقي صاحبه بتلقائية ومرونة وسهولة بدون تكلف نحو القيام بأفعال معينة قد تكون حسنة، وربما تكون سيئة. كما أن السلوك الخُلُقي المكتسب يمكن أن يأخذ صفة الفطرية والتلقائية في الأفعال إذا تحققت له شروط الإخلاص، والإيمان الصادق، والصبر والإرادة، والمداومة المستمرة بقصد تغيير السلوك الخُلُقي المتكلف بالتدريج إلى سلوك خُلُقي معتاد مرن يظهر كأنه يصدر من أصل الإنسان وفطرته، فالسلوك الخُلُقي يعبر أصلاً عن الأخلاق الذاتية الفعلية التي يمارسها، والتي تكون في سلوك المرء و في نفسه غريزة تظهر في ملامحه وتصرفاته، سواء كان هناك تعامل في المجتمع للمرء بحيث تظهر آثارها، أو لم يكن هناك تعامل، فإنها تعلم من مخايل المرء وسمته. كما يوجه الإمام أبو حامد الغزالي مراحل تكوين السلوك الخُلُقي وجهة " شرعية إسلامية " منذ الميل الأول لبداية تكوين الفكرة ؛ فالخواطر النفسية التي تحرك سلوك الإنسان على إتيان الأعمال يجب أن تكون شرعية رحمانية ؛ بمعنى أن تتوائم خواطر الإنسان مع ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة اعتقاداً، وقولاً، وفكراً، وعملاً، وأن يبتعد قدر الإمكان عن الخواطر الشيطانية التي توسوس في باطنه النفسي فتبعده عن السلوك الخُلُقي المحمود.

يستنتج الباحث في ضوء المعطيات السابقة أن الإمام أبا حامد الغزالي – رحمه الله – قد أكد على أهمية تداخل وتفاعل السلوك الخُلُقي كمفهوم متكامل ومؤثر في بناء جوانب النفس الإنسانية، كما أكد على دور الجوانب الباطنية (النفسية، القلبية، العقلية) من خواطر ورغبات وانفعالات وإرادة، والجوانب السلوكية الفعلية ووحدتهما في اكتساب السلوك الخُلُقي وفق ما يقرره العقل والشرع، كما أبرزت الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس على أهمية العلاقة الوظيفية بين الإرادة الفكرية والسلوك العملي بمعنى وجود فكرة امتزاج السلوك عموماً والسلوك الخُلُقي الراسخ (المعتاد) والرغبة بالقوة الدافعة.

# أُسس السلوك الخُلُقي

يقـــوم الســـلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – على مجموعة من القواعـــد، أو الأســـس تتكامل وتتداخل وتتفاعل مع بعضها بعضا فلا يمكن فصل أحدها عن الآخـــر، فـــإذا أخذت الذات الإنسانية حظاً موفوراً من هذه الأسس أو القواعد كانت مثالاً للسلوك الخُلُقي القويم.

ومـــن خـــلال هـــذا المنهج يساير الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – روح الدين الإســـلامي الذي ينظر إلى الذات الإنسانية نظرة متكاملة و متوازنة من جميع الجوانب الإيمانية والروحية والعقلية والخُلُقية والاجتماعية والنفسية والجسمية.

فبدون هذه النظرة الشاملة لحقيقة الأسس المحددة لطبيعة السلوك الخُلُقي لا نستطيع أن نفهم الذات الإنسانية.. فهماً واضحاً. وسوف يقتصر الباحث على تحليل الأسس المهمة منها وبيان ذلك فيما يلي :

## أولاً : الأساس الإيماني :

أكـــد الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – على أهمية هذا الأساس في تحقيق السلوك الخُلُقـــي المحمود وقرنه بالإيمان لأنه يدل على شدة تعلق صاحبه بالدين الإسلامي وعمق إيمانه وبمبادئه وقيمه الخُلُقية الراسخة، بينما يدل ضعفه على السلوك الخُلُقي المذموم.

ويؤكـــد ذلك بقوله : ((فإن حسن الخُلُق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعـــالى صـــفات المؤمـــنين والمنافقين في كتابه القويم وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق)). (الغزالي، د. ت، ج٣ :٦٩)

يؤكد الإمام أبو حامد الغزالي على ضرورة قيام السلوك الخُلُقي المحمود الذي يصدر من الذات الإنسانية على أصول كمال الإيمان، فبالأخلاق يكتمل إيمان المرء.

وقد قال : سيدنا محمد ﷺ " **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً** ". (السجستاني، ١٤١٩هـــ،كتاب السنة، باب الدليل على الزيادة والنقصان، حديث رقم ٤٦٤٤ : ٢١٦)

فالمقصود من ذلك الحديث الشريف أن من المعالم الدالة على كمال إيمان المؤمن السلوك الخُلُقي القويم الذي يصدر بصورة متكررة.

كما يؤكد الإمام على أهمية ارتباط وامتزاج السلوك الخُلُقي بحقيقة الإيمان بل جعله عقيدة راسخة في الذات وسلوكاً واضحاً مستمراً في كل المواقف.

قال الصنيع (١٤١٦ هـ) ((إن صاحب الإيمان الصادق الخالص من الشرك تكفل الله سبحانه وتعالى له بالأمن، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢]

ويؤكد الحفني (د. ت) " بأن الإيمان هو الأساس النفسي للسلوك، والعمل هو الشاهد على الإيمان فمن صدق بقلبه وشهد بلسانه ولم يعمل نقص إيمانه، ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو المنافق، والإيمان كاعتقاد من أعمال العقول وفيه الاستدلال ". (ص ٥٠)

فالسلوك الخُلُقي بدون الإيمان الصادق له أثر سلبي على الذات الإنسانية، وهذا التأثير السلبي يؤدي إلى ظهور سلوك خُلُقي مضطرب – مذموم – وغير متوافق في كل جوانب الشخصية، فعلى قدر إيمان الإنسان يكون سلوكه الخُلُقي مسايراً لامتثال الأوامر الشرعية ومجانباً للنواهي. كما يؤكد الحداد (١٤١٣ هـ) " أن أول دليل على ضعف إيمان العبد تركه للموافقات وارتكابه للمخالفات ؛ و الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ". (ص ٢١)

وفي ذلك يوضح بار (١٤١٩ هـ) بأن كل من يبعد عن حظيرة الإيمان والإسلام، يقع فريسة في الانحرافات والأمراض النفسية والاعوجاج في السلوك، وقلما، يجد التوافق النفسي، والاجتماعي وغيرهما، وقلما يعيد لنفسه سلامتها وصحتها.

فالإيمان بالله تعالى هو الدافع الأساسي للسلوك الخُلُقي القويم فكلما زاد الإيمان زاد الخُلُق ورسخ في الذات الإنسانية كسلوك ثابت ؛ وأصبح يمارس بتلقائية موجهة لابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، وكلما ضعف الإيمان دل على اضطراب السلوك الخُلُقي بأجمعه وظهور

ملامح السلوك الخُلُقي المذموم. فالإيمان بالله إذا ما بُثت جذوره في النفس الإنسانية منذ مرحلة الطفولة وامتزج – الإيمان – بوجود وسط بيئي ذي سلوك خُلُقي رفيع فإنه يُكسِبُ الإنسان مناعة وَوقاية من الاضطرابات الخُلُقية. إذ يعتبر الإيمان وازعاً وضابطاً لكل أشكال السلوك الإنساني.

وقد وصف الحق سبحانه وتعالى مدى ما يحدثه الإيمان في الذات الإنسانية وعلاقته الإيجابية في ظهور السلوك الخُلُقي القويم. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف:١٣]

ومن هنا يتبين أن الإيمان بالله تعالى إذا امتلأت به النفس الإنسانية وتشربته أصبح وازعاً داخلياً وطاقة نفسية مُوجِهة للسلوك الخُلُقي القويم و محركاً للابتعاد عن أي شكل من أشكال السلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي).

وقد بدأ في بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس الاهتمام بموضوع الوقاية من السلوك الخُلُقي المذموم وقاموا بمحاولات للتدخل في الأزمات التي تنشأ في العلاقات الإنسانية بهدف إيجاد حلول وبدائل لهذه الأزمات تحول دون ظهور أعراض للسلوك الخُلُقي المذموم.

وقد أشار نجاتي (١٤١٣ هـ) إلى أن هذه الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة تؤكد على أن الإيمان بالله تعالى قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة والظهور بمظهر سلوكي سوي يتقارب مع الدين. (ص ٢٦٨)

ومن بين من نادى بذلك " وليم جيمس " فقال : ((الإيمان من القوى التي لا بد من توافرها لمعاونة المرء على العيش، وفقده نذير بالعجز عن معاناة الحياة)).. وقال أيضاً :

((إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم، فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشراقه تحققت كل أمنياتنا وآمالنا)). (المرجع السابق : ٢٦٩)

فعـــلى سبيل المثال عرف " جوستاف لوبون " العقيدة بأنها " إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على التصديق بقضية من القضايا من غير دليل ". (السمالوطي، ١٤٠٨ هـــ : ٢٤)

ويلاحظ الباحث أن " جوستاف لوبون " يحيل العقائد – بصفة عامة سواء الصحيحة أو الزائفة – إلى قضايا لا شعورية مفروضة بل قهرية على الإنسان لا دليل عليها، قد تطابق الواقع وقـــد لا تطابقه. كما أن ذلك المفهوم للعقيدة من جانبه يتناقض تماماً مع ما أوضحه الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله –.

## ثانياً : الأساس النفسي :

إن للأساس النفسي دوراً بارزاً فيما يتعلق بعلاقة السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي، لأنها – أي النفس – إما أن تساعد صاحبها على أن يكون من الأخيار الصالحين وتمثلها النفس المطمئنة، وإما أن تلومه على فعل السيئات فتدفعه إلى التوبة والاستغفار وهذه صفة النفس اللوامة، أو تأمر صاحبها لارتكاب المعاصي والشر وتلك هي النفس الأمارة بالسوء.

وحتى يتضح دور الأساس النفسي في توجيه السلوك الخُلُقي المحمود أو المذموم عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – بصورة أوضح ؛ فقد عَرَّفَ في بداية تناوله الأساس النفسي – النفس – على أنه مفهوم مشترك يحمل معنيين فقال :

أ – إنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان.

ب – اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة. والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى، فإنها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان. وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة بالنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه ...وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس

الأمارة بالسوء، وقد يجوز أن يقال : المراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذاً النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثاني محمودة ؛ لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٤)

كما أكد الإمام أبو حامد الغزالي أن مصدر السلوك الخُلُقي المذموم(غير السوي) يكون نتيجة سيطرة النفس الأمارة بالسوء على كافة أبعاد الذات الإنسانية فقال : ((والمذموم من فعل النفس الأمارة بالسوء وهو استحبابها لما فيه لذتها البدنية)). (الغزالي، د. ت : ٦٢)

كما قال في مكان آخر : ((إن النفس الأمارة بالسوء هي أعدى لك من إبليس، وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها، فلا تغرنك نفسك بالأماني والغرور ؛ لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفترة والكسل، فدعواها باطل وكل شيء منها غرور، وان رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت، وان غفلت عن محاسبتها غرقت، وان عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك إلى النار)). (الغزالي، ١٤١٧ هـ : ٢٢)

يتضح مما سبق أن الإمام أبا حامد الغزالي يرى أن النفس الإنسانية تأخذ صفات عدة فقد يغلب عليها حال النفس المطمئنة أو حال النفس اللوامة أو حال النفس الأمارة بالسوء وهذه أحوال للنفس في الذات الإنسانية، إلا أن أحوالها وصفاتها تختلف من نفس لنفس.

ويتفق الباحث مع ما ذهب إليه (فريد، د. ت : ٧٠) و (المقري، ١٤٠٩ هـ : ٥٥) بأن حال النفس المطمئنة أقرب أحوال النفس إلى السلوك الخُلُقي المحمود ؛ بسبب انعكاس هذا الاطمئنان على تصرفات الإنسان وسلوكه، فقد اختارت طريق الفلاح واطمأنت بذكر الله، أنابت إليه فاشتاقت إلى لقائه وأنست بقربه. وقال ابن عباس رضي الله عنه المطمئنة المصدقة، وقال قتادة هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله.

فالنفس المطمئنة هي النفس التي تسعى دائماً أن تكون مع الأنبياء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا، هي النفس التي لا تريد فساداً ولا عُلواً في الأرض، هي النفس التي تعبد الله حتى يأتيها اليقين، وهي النفس التي تمارس أرقى أنواع السلوك الخُلُقي في جميع المواقف اليومية لتحظى بالرضى من الخالق عز وجل. فهي النفس التي تجاهد الضلال والهوى، وهي

النفس العابدة العاملة لوجه الله الكريم التي غايتها رضى الحق سبحانه وتعالى والوصول إليه من خلال السلوك الخُلُقي المحمود.

أما النفس اللوامة فهي النفس التي لا تثبت على حال واحدة، وهي كثيرة التقلب والتشكيل فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وتطيع وتتقي. (فريد، د. ت : ٧٢)

أما النفس الأمارة بالسوء فيرى فريد (د. ت) " بأنها نفس مذمومة تأمر بكل سوء وهي الـــتي تمـــيل إلى الطبيعة البدّنية وتأمر باللذات والشهوات الظاهرة،فهي مأوى الشرور ومنبع الرذيلة " (ص ٧٣)

كما أوضحها عثمان (١٤٠٨ هـــ) بأنها " ضعيفة جاهلة تنقاد إلى الحس الظاهري وتميل إلى الغرور والتعالي والأنانية، ولا تعير للقيم والمبادئ الأخلاقية والدين أي اهتمام ولا مكان للمثل والفضائل داخلها ".(ص ١٣٠)

وتعتبر النفس اللوامة بمثابة غرفة التحكم والرقابة الداخلية والمحاسبة التي تحاسب نفسه إذا خرجت – الأمارة بالسوء – عن حدود الشرع والمعايير الأخلاقية الإسلامية، وتكون المحاسبة والمراقبة على مستوى الأفعال والتصرفات، ومقاصد النيات.

وفي رأي الباحث أن السلوك الخُلُقي المذموم يصدر من أساس إيماني وأساس نفسي ضعيف قد لا تمارس أي نوع من المبادئ الخُلُقية كثيراً، ولا تعطي ثقلاً لميزان الشرع الإسلامي، وهي أبعد أحوال النفس الإنسانية عن السلوك الخُلُقي المحمود بل أقربها إلى السلوك الخُلُقي المذموم فهي تقود صاحبها إلى المهلكات والمشاكل والاضطرابات النفسية والعقلية، ورذائل الأمور. كما أن أحوال النفس الإنسانية لها تأثير بالغ على تحلي الإنسان بالسلوك الخُلُقي المحمود، أو تخليه عن السلوك الخُلُقي المذموم، فكلما قويت النفس المطمئنة التي ألهمها الحق سبحانه وتعالى التقوى ضعفت النفس الأمارة بالسوء التي أُلهمت الفجور، وبينهما حال النفس اللوامة التي تقوم بعملية التقويم انطلاقاً من أساس الفطرة التي تستحسن الخير وتحث عليه ؛ فالتناسب بين هذه الحالات تناسب عكسي. فالأساس النفسي مصدر أساسي للسلوك الإنساني وهو المسؤول عنه والسلوك تتحكم فيه القدرات العقلية، والتفكير والإرادة والتعلم والتذكر

والانفعالات الوجدانية من غضب وفرح ولذة وألم. وقد يختلف الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – عن مدارس علم النفس، حيث يشير دائماً إلى النفس الإنسانية بكل أوجه النشاط الصادر عنها باعتبارها وحدة متكاملة – جسمية ونفسية وعقلية ووجدانية متكاملة وليست مجزأة.

وخلاصة القول أن الإنسان في سلوكه يمثل نشاطاً كلياً باعتباره وحدة جسمية عقلية و وجدانية متكاملة. والنفس بأحوالها المختلفة كما وصفها الإمام أبو حامد الغزالي داخلة في هذا التركيب الكلي المتكامل وهذا ما لم تصرح به الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس.

## ثالثاً : الأساس القلبي :

يعتبر الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – الأساس القلبي مستودع المعاني والتصورات، ومنبع العواطف والفضائل ؛ وجوهراً أساسياً للتوجهات السلوكية في الذات الإنسانية، فإذا صلح القلب أمتد أثره إلى كل جوانب الشخصية. وفي ذلك قال : ((اعلم أنه قيل في المثل المشهورة : إن النفس كالمدينة، واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها، والقوة الشهوانية واليها، والقوة الغضبية شحنتها، والقلب ملكها والعقل وزيرها. والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله)). (الغزالي، ١٤١٨ هـ : ١٢٩)

كما أوضح الإمام أبو حامد الغزالي الأسباب الدالة على أن الأساس القلبي هو أحد المراكز الهامة المؤثرة في كافة أبعاد الذات الإنسانية، فقال : ((لأن الوالي وهو الشهوة كذاب فضولي مخلط، والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب، فإن تركهم الملك على ما هم عليه هلكت المدينة وخربت. فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالي والشحنة تحت يدي الوزير، فإذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة وتعمرت المدينة. وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقياً في الآخرة)). (المرجع السابق : ١٢٩)

ويوجه الإمام أبو حامد الغزالي الاهتمام إلى ضرورة معرفة القلب الإنساني وحقيقة أوصافه لأنه – أي الأساس القلبي – نقطة ارتكاز هامة ترتكز عليها استقامة الذات الإنسانية فقال : ((عليك بحفظ القلب وإصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود، فإنه أعظم هذه الأعضاء خطراً، وأكثرها أثراً،وأدقها أمراً وأشقها إصلاحاً)) (الغزالي، ١٤١٧ هـ : ١٧٥)

ثم قسم الإمام أبو حامد الغزالي القلب إلى أقسام ثلاثة لكل قسم منه تأثير مباشر في ظهور السلوك الخُلُقي المحمود أو السلوك الخُلُقي المذموم، ومدى الثبات، أو التقلب على الخير، والشر والتردد بينهما وهي :-

أ – القلب المعمر بالتقوى :

فيقول – رحمه الله – فيه : ((قلب عُمِّرَ بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت، فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له، ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحسنه عليه ويدعوه إلى العمل به)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٣)

ب – القلب المخذول المشحون بالهوى :

قال فيه : ((وهو المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين، المسدود عنه أبواب الملائكة. ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه، فينظر القلب إلى حاكم القلب ليستفتي منه، ويستكشف وجه الصواب فيه، فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به، وأستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى)) (المرجع السابق : ٣)

ج – القلب المتردد بين الخير والشر :

قال : ((قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير، فتتبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم،

فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجهه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب)). (المرجع السابق : ٣)

ويتضح مما سبق أن القلب المعمور بالتقوى لا يكون إلا بصلاح السلوك الباطني، وطهارته ونقاوته، وعمق إيمانه، ومراقبته للحق سبحانه وتعالى في جميع المواقف، فأنوار الإيمان الربانية طاهرة لا تتنزل إلا على صاحب القلب الطاهر البعيد عن حالة القلب المخذول المشحون بالهوى، البعيد عن حالة القلب المتردد بين الشر والخير الذي يتصف صاحبه بحالة عدم توازن وصراع نفسي متقلب حيث يظهر ذلك من خلال سلوكه وتصرفاته الظاهرة. ولأن القلب السليم محط أنظار الحق سبحانه وتعالى

وقد اهتم سيدنا محمد ﷺ بالأساس القلبي وجعله مقياسًا لجميع أشكال السلوك الخُلُقي، فقال ﷺ :" **ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله،وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** ". (البخاري، د. ت، باب فضل من أستبرأ لدينه، ج ١ : ٢٠)

يقول : خليل (١٤٠٧ هـ) ((ولا يصلح حال القلب إلا بتربيته على الإخلاص في القول والعمل، ولا يكون ذلك إلا بالمجاهدة الشديدة لنوازع النفس الأمارة وللشيطان ووساوسه، ولتأثير المحيط الفاسد، فيحب ما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات والأخلاق والأفعال ويبغض ضدها ويعمل بمقتضى ذلك)). (ص ١٦٢)

والحقيقة أن للأساس القلبي دوراً هاماً ومؤثراً في الذات الإنسانية فعن طريقه – أي القلب المعنوي – يستدل المرء على الحق والعفة، والأمانة، والصدق، والعدل، والإحسان، والبر، والرحمة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسواها من التكاليف التي هي فضائل سلوكية ملزمة، تنبع من أعماق الشعور الإنساني، حينما يكون الإنسان سوياً ويحس بالقيم الإسلامية القويمة ؛ فالسلوك الخُلُقي المحمود لا يصدر إلا من ذات يتميز صاحبها بقلب سليم امتزج وعائه بكمال الإيمان، وترسخت في داخله دعائم التقوى.

ولقد هدف الإمام أبو حامد الغزالي إلى الوصول بالذات الإنسانية بصورة متكاملة متوازنة في جميع الجوانب الإيمانية والوجدانية والادراكية والخُلُقية والنفسية والاجتماعية

والجسمية إلى حالة الطمأنينة المستقرة التي هي أكمل الحالات، إذ يستطيع الإنسان أن يكون في وضع ملائم لعبادة الله سبحانه وتعالى ويتمثل أرقى سلوك خُلُقي محمود. فالأساس القلبي يعتبر مخزوناً عميقاً لكل الجوانب الوجدانية من خواطر وعواطف، ومشاعر وانفعالات، وإرادات، فصلاح الباطن أساس لكل صلاح ظاهري والأخلاق القلبية هي الكفيلة بالإصلاح الظاهري للسلوك الإنساني بوجه عام والسلوك الخُلُقي على وجه الخصوص.

ويقوم مقام الأساس القلبي عند الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس ما يُعرف بالضمير، خاصةً أن أغلب هذه الاتجاهات قد تشربت في كثير من توجهاتها من مصادر فلسفية للحضارات القديمة في التاريخ الإنساني كالحضارة اليونانية وما سطره روادها مثل أرسطو وسقراط وأفلاطون وغيرهم الكثير ؛ فهذا " لا. س. رابو برت " يتساءل ؟ فيقول : ((ما البواعث التي تدفعنا إلى الإتيان بعمل معين في ظروف خاصة دون أن تدفعنا إلى غيره من الأعمال ؟ من أين نعرف الخير والشر ؟ وإلى أين توصلنا هذه المعرفة ؟ : فيجيب يظهر أن في الإنسان صوتاً باطناً يوحي إليه بما ينبغي أن يفعل، ويميز بين الحق والباطل، والحسن والسيئ، والنافع والضار والعمل الخُلُقي وغيره، ويسمى هذا الصوت بالوجدان، وهو نوع من الشعور الباطني لا يخضع لسلطان خارجي، هذا الشعور هو الذي كان يحمل الناس على السير في طرق خاصة)). (الحليبي، ١٤١٧ هـ : ١٤٢)

ويرى طه وآخرون (د. ت) أن أغلب الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس قد اتفقوا أن مفهوم الضمير يقصدون به : مصطلح تحليل نفسي يقصد به أحد جانبي الأنا الأعلى ويقابل الجانب الآخر منه وهو "الأنا المثالي". والضمير يوجد بالفرد كمكون من مكونات شخصيته أو كنسق يمثل المبادئ الخُلُقية ويدعو لانضباط السلوك وفق معاييرها، وعدم الخروج على القواعد والأعراف والقيم الأخلاقية التي تواضع المجتمع عليها ممثلاً في الوالدين أو من يقوم مقامهما. والضمير يثبت الشخصية بالراحة النفسية إن تصرفت وفق القواعد الأخلاقية، ويعاقبها بوخز الضمير وتأنيبه إن خرقت تلك القواعد وتجاهلتها. وفي بعض الأحيان يبلغ تأنيب الضمير حداً تستحيل معه متعة الحياة، ويُفضل عليها الموت فيلجأ الفرد إلى الانتحار أو يحاوله تخلصاً من الآم تأنيب الضمير، وإنزالاً لعقاب قاسٍ على نفسه يكفر به ما ارتكبه من آثام. والضمير يمارس نشاطه داخل الشخصية على المستويين الشعوري واللاشعوري. (ص ٢٥٧)

وبذلك يتضح أن قوة الضمير أو الحس الخُلُقي عند أصحاب الاتجاه الحسي في الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة – كمدرسة التحليل النفسي – ترتكز على الضمير وحده، بمعنى أن الرقابة الباطنة الموجهة للذات الإنسانية عبارة عن سلطة داخلية ذاتية في أعماق الإنسان تتماشى مع عرف ومذاهب المجتمع الذي يعيش فيه فإذا اتفق الفرد مع أهداف المجتمع وغاياته عاش سعيداً مرتاحاً نفسياً وإذا خالف أعراف وعادات المجتمع دخل في دوامة الاضطراب والصراع الداخلي والخارجي مع ذاته، ومع الوسط المحيط به. فعلى سبيل المثال اعتبر " سيجموند فرويد " انطفاء غريزة الجنس للطفل في سن الثانية عشرة (المرحلة الدفينة) ظاهرة التسامي، إذ يسعى الإنسان إلى تحويل اهتمامه نحو منجزات تثبت ذاته حيث تتم منجزات الشخص بحسب أحوال نشأته فإما أن يخرج سليماً وذا سلوك خلقي مقبول، أو يخرج مجرماً منحرفاً ذا سلوك خُلُقي مذموم. (الدر، ١٤١٥ هـ : ٦٢)

وفي ضوء ما سبق يرى الباحث أن الأساس القلبي إذا كان يقظاً ومتدبراً لتصرفات الإنسان ومراقباً لخواطره الذاتية الخيرة والشريرة ؛ فإنه يكتشف الخواطر الشريرة التي تمر على ذهنه بسهولة، ويعرف عمق الخواطر الخيرة ونتائجها، بفضل حساسيته المفرطة التي اكتسبها من إدامة تيقظه لذاته وما يعتليها من شتى أنواع الخواطر. فما أن يطل خاطر شرير على قلبه إلا ويكتشفه ضميره الحي وتصوراته الخيرة التي تقود صاحبه إلى السلوك الخُلُقي المحمود ومعرفة السلوك الخُلُقي المذموم.

## رابعاً : الأساس العقلي :

اهتم الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – بمباحث العقل وخصه بكتابات مستفيضة ضمن مؤلفاته، حيث جعله قاعدة قوية تساعد الإنسان على الإدراك، والتفكير التلقائي المتناسق، والمعرفة التي تنور الإنسان بعين البصيرة القائمة على الخبرة الأخلاقية الأصيلة في أعماق الذات الإنسانية المرتبطة بالشرع الإسلامي القويم. وقد أبرز الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – نوع العلاقة بين العقل والشرع في صورة عامة بقوله: ((اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن له أُس)). (الغزالي، ١٤٠١ هـ : ٥٧)

فالأساس العقلي من وجهة نظر الإمام هو المقياس الذي يقاس به صدق من جاء بالشرع. حيث أوضح – رحمه الله – أهمية الشرع كحقيقة مساندة للعقل فقال : ((فالعقل لا يهدي إلى تفاصيل الشرعيات، والشرع تارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل، وتارة بتنبيه الغافل وإظهار الدليل حتى يتنبه لحقائق المعرفة، وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقده، وتارة بالتعليم وذلك في الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد، فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل)). (المرجع السابق : ٥٨)

ومما هو جدير بالذكر أن الإمام أبا حامد الغزالي يربط العقل بالشرع حيث يجعل الأساس الإيماني هادياً وضابطاً وموجهاً للعمليات العقلية السليمة.

ويستدل الإمام – رحمه الله – بحديث نبوي يتضح من خلاله دور العقل وأهميته كأساس في توجيه السلوك الخُلُقي حيث ربط – رحمه الله – أهمية كمال السلوك الخُلُقي المحمود برجحان الأساس العقلي فيقول : ((قال ﷺ : " **إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** " الطبراني، ١٤٠٩ هـ، باب ما جاء في حسن الخُلُق، حديث رقم ٢ : ٣١٣)، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه أطاع ربه وعصى عدوه إبليس)). (الغزالي، د. ت، ج ١ : ٨٤)

ومن خلال ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي أن السلوك الخُلُقي الراقي لا يصدر إلا من أساس عقلي سليم وناضج بمختلف عملياته العقلية كعملية الإدراك والتعلم والتعرف والفهم والتخيل. فالعقل هو أساس التكليف في الإسلام في مجالات عدة في العقيدة والشريعة والعبادة والمعاملة وأسلوب الحياة ؛ ولا تستقيم الذات الإنسانية على السلوك الخُلُقي القويم بدون استقامة سلطان الأساس العقلي. والحقيقة أن الأساس العقلي المتوازن من أهم معالم الشخصية المؤمنة المطمئنة بالله عز وجل. حيث أشار – رحمه الله – إلى أهمية الأساس العقلي فقال :

((يكاد يتوصل إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته، نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق، وقول الصدق، وتعاطي الجميل، وحسن استعمال المعدلة، وملازمة العفة، ونحو ذلك)). (الغزالي، ١٤٠١هـ : ٦١)

ثم أوضح الإمام أبو حامد الغزالي الأساس العقلي بأربعة معان مشتركة فيقول : والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك مع أربعة معان، كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدة :

أ – الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

ب – هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين اكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد.

ج – علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً.

د – أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلاً. (المرجع السابق : ٨٤)

ويظهر لدى الباحث أن المعنى الرابع هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى لجعل العقل السليم ظهيراً للأساس الإيماني الداعم لترسيخ السلوك الخُلُقي القويم في الذات الإنسانية ؛ إذ عن طريق العقل يستطيع الإنسان أن يصل إلى درجة إيجابية ومتوازنة من الفهم والإدراك الخُلُقي بصفات الأعمال والتصرفات حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها خيرها وشرها.

كما قسم الإمام أبو حامد الغزالي الأساس العقلي إلى ثلاثة أوجه فقال :

أ – يراد به صحة الفطرة الأولى في الناس، فيقال لمن صحت فطرته الأولى : إنه عاقل، فيكون حده أنه قوة يجود التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة.

ب – يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معاني مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والأغراض.

ج – معنى آخر يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، ويكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وهيأته وكلامه واختياره. ولهذا الاشتراك يتنازع الناس في تسمية الشخص الواحد عاقلاً فيقول واحد : هذا عاقل، ويعني به صحة الغريزة، ويقول الآخر : ليس بعاقل ويعني به عدم التجارب وهو المعنى الثاني. (الغزالي،١٩٨٣م : ٢٠٨)

من خلال ما سبق يتضح للباحث أن العلاقة بين العقل والشرع علاقة تكامل لا يستغني أحدهما عن الآخر في مجال التشريع والتنظيم للسلوك الخُلُقي. لما للأساس العقلي السليم من معرفة لعواقب الأمور، وقمع الشهوة النفسية إلى اللذة العاجلة، وقهرها بما يؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

ويرى طه وآخرون (د. ت) " أن مفهوم العقل عند بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس الحديث ؛ يقصدون به الذكاء أو الذهن فإن قلنا إن فلاناً له عقل ممتاز، نقصد أنه على درجة عالية من الذكاء والفهم. وإن قلنا إن فلاناً ضعيف العقل، فإننا نقصد أن ذكاءه قاصر وضعيف، كما نقصد بمفهوم عقلي ما يتعلق بالخصائص والتصرفات المرتبطة بالعقل والصادرة عنه والعقلي نسبة إلى العقل " (ص ٢٩٣)

ويشير ضاهر (١٩٩٠ م) إلى أن الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس تحث الإنسان على ترسيخ سلطة العقل فقط وتجعل الأفراد يرون بعقولهم (عندما تتوافر له كل المعلومات المطلوبة عن طبيعة الحياة الاجتماعية وعن معنى الأخلاق وما تقتضيه على صعيد السلوك). فعلى سبيل المثال يرى أصحاب اتجاه التحليل النفسي أن الغرض الأساسي من كل فكرة ومعرفة يطرحها الإنسان وكل عمل يقوم به هو إشباع الحاجات الحسية والشهوانية المختزنة في أعماقه، وبالتالي يسعى إلى تحصيل أكبر قدر يمكنه من اللذة ولا يرى أي واقع أو حقيقة وراء ذلك.

ويذكر معروف (١٤١٥ هـ)، وجمل الليل (١٤١٩ هـ) بأن فرويد ومن تبعه – صاحب نظرية التحليل النفسي – قد حاولوا في بداية فهمهم لأعماق الذات الإنسانية وضع تقسيم يوضح عناصر الكيان النفسي وبالتحديد الأساس العقلي، أو ما يسمى " بالآلة العقلية " في الإنسان إلى الآتي :–

١ – العقل الشعوري (الوعي) :

وهو ذلك الجزء من شخصيـــة الإنسان الذي ينشـــد العثـــور على مخارج واقعية لدوافـــع الشهوة والغرائز، ويحاول ــ قدر الإمكان ــ أن يحفظ ماء وجه صاحبـــه وأن يؤمنـــه من الوقـــوع في نزاع مع صاحبه.

٢ – ما قبل الشعور :

وهو مجموعة الأفكار والمشاعر والرغبات المكبوتة التي تمكنت من الانتقال من المجال اللاشعوري إلى المجال الشعوري، بحيث يعتبر منطقة أو ممراً لهذا الانتقال. وقد تستمر بعض المواد المكبوتة التي أتت من اللاشعور في هذا القسم دون حدوث مشكلات للفرد، إذ قد يستطيع الفرد كبتها، خاصة إذا كانت متعارضة مع المعايير الأخلاقية السائدة في المجتمع.

٣ – العقل اللاشعوري :

هو مجموعـــة الشهوات الغريزيـــة الكامنـــة في أعماق الشخصيـــة الإنسانية ولا يمكن للإنسان السيطرة على نشاطهـــا أو التحكـــم في تكوينهـــا. ويمكن أن يسمى هذا بالجانب الحيواني في الإنسان.

وأوضح بن حميد وآخرون (١٤١٨ هـــ) أن بياجيه يرى " أن الفرد لا يستجيب سلبياً لما يراه حوله أو ما يفرضه عليه الآخرون، وإنما هو كائن نشط يتفكر فيما يستقبله ويستنتج منه مبادئ عامة يسترشد بها في سلوكه وأحكامه، بمعنى أن السلوك الخُلُقي هو تفاعل الفرد مع بيئته أو هو عمل الفرد في البيئة وعمل البيئة في الفرد ". (ص ١٢٣)

ويلاحظ الباحث أن بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة اهتمت بالتفكر كعملية عقلية – العمليات العقلية ما بين المثير والاستجابة – ودراسة علاقتها وأثرها على السلوك بوجه عام مما أدى إلى تغيير وجهة النظر الكلاسيكية السلوكية بوجهة نظر

" المدرسة السلوكية المعرفية " التي أعادت الاهتمام بالنشاط العقلي الداخلي وأثر تلك العمليات في معرفة وتحليل وتفسير وتوجيه الذات الإنسانية للوصول إلى مرحلة سليمة متوازنة توضح له شكل السلوك الممارس سواء كان مقبولاً أوغير مقبول.

ويرى الباحث أن هذه النظرة المحفوظة حقوقها لأصحاب الاتجاه السلوكي المعرفي الحديث في علم النفس قد سبقهم إليها الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله –قبل تسعة قرون إذ أكد على أهمية العمليات الفكرية السليمة، إذ تعتبر من الأسس الموجهة لطبيعة السلوك الخُلُقي الفعلي – الممارس – سواء كان محموداً أو غير ذلك.

## العلاقة بين أسس السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله -

حينما يتحدث الإمام أبو حامد الغزالي عن الذات الإنسانية فإنه يستعمل مفاهيم – النفس – القلب – العقل – للدلالة على الكيان الكلي للذات الإنسانية عامة – الشخصية –، فعندما يضطرب أي جانب في الذات بطبيعة الحال تضطرب النفس، والقلب، والعقل لأنهما يمثلان كل الكيان الذاتي للإنسان، وباضطرابهم يتأثر كل أجزاء الإنسان الداخلية الروحية والخُلُقية، والخارجية السلوكية. فكل مفاهيم قوى الذات الإنسانية لا تعمل مستقلة بعضها عن بعض، بل تعمل في تعاون تام فيما بينها بحيث يخدم بعضها البعض في نظام كلي متكامل ومتناسق فهي مفاهيم لا تنفصل عن أي جزء من أجزاء الإنسان، حيث تتداخل وتتفاعل وتتصارع، أو تكون جزءاً أساسياً من الكيان الإنساني، أو مرادفاً مطابقاً له. لذلك إنه من الضرورة بمكان أن ندخل في مفاهيم النفس، والقلب، والعقل، كما رآها الإمام أبو حامد الغزالي وتعامل معها ؛ فهي أساس هام لتوازن السلوك الباطني – الخُلُقي –، وعامل مؤثر في إعادة تنمية الذات الإنسانية لتصل إلى مرحلة مستقرة من السمو والاعتدال النفسي.

وقد أوضح الإمام أبو حامد الغزالي إلى هذه المفاهيم – الألفاظ – وأنها تعبر عن كينونة الذات الإنسانية. فقال : ((وأكثر العلماء قد ألتبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها ؛ فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون : هذا خاطر العقل، وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب، وهذا خاطر النفس، وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء، ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامي)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٥)

كما قال – رحمه الله – : ((فإذا عرفت فرق الأسامي، فاعلم أن الباحثين يعبرون عن هذا الجوهر النفيس بعبارات مختلفة، ويرون فيه آراء متفاوتة)). (الغزالي، د. ت : ٦٠)

ثم أكد الإمام على علاقة الترابط والتكامل والتداخل والتطابق لكل قوى الذات الإنسانية فيقول : ((ونحن حيث أطلقنا في هذا الكتاب لفظ : النفس والروح والقلب والعقل فنريد به النفس الإنسانية التي هي محل المعقولات)). (الغزالي،١٤٠١هـ :١٨)

ويتضح مما سبق أن للجانب الروحي الباطني من الإنسان أهمية بالغة تساعد كثيراً على فهم أعماق الذات الإنسانية فهما واضحاً.

ويتضح للباحث أن أبا حامد الغزالي أكد على أهمية التكوين النفسي أو القلبي، أو العقلي وخضوعه للبناء الروحي والعضوي معاً من خلال التأكيد على التوازن والتداخل والتفاعل بين الجانبين في تفسير السلوك الإنساني بشكل عام والسلوك الخُلُقي على وجه الخصوص.

يوضح الشكل رقم (٢) العلاقة بين السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله –

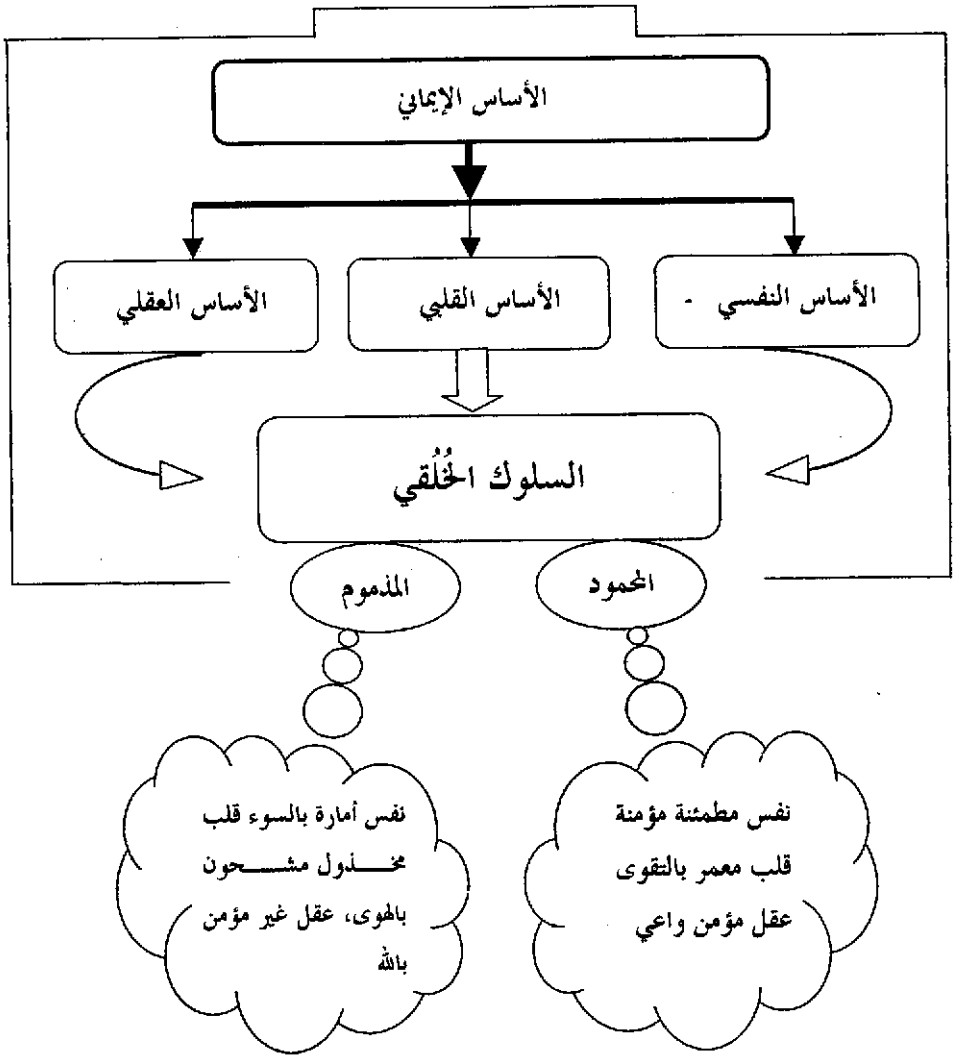

يستنتج الباحث في ضوء المعطيات السابقة أن الإمام أبا حامد الغزالي – رحمه الله – أبرز دور الجانب الروحي الإيماني كأساس ضابط وموجه للأساس النفسي والأساس القلبي والأساس العقلي، فكلما قويّ الارتباط بين هذه ال وبين الأساس الإيماني أدى إلى ظهور السلوك الخُلُقي المحمود، كما أن ضعف ارتباط الأساس النفسي والقلبي والعقلي عن الأساس الإيماني يؤدي إلى ظهور أعراض السلوك الخُلُقي المذموم، بينما هذا الجانب لا يكاد يوجد في الاتجاهات النفسية الغربيـــة الحديـــثة في علم النفس إلا قليلاً، حيث ركزت هذه الاتجاهات النفسية الغربية على نظريات ومعارف وضعية تتضح من خلال أقوال وخبرات وتجارب علماء النفس المحدثين، ولم تذكر أهمية معرفة الحق سبحانه وتعالى والإيمان به واستشعار قربه وابتغاء مرضاته ونيل ثوابه في كل المواقف، هذا ما أشار إليه الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – كثيراً في كتبه.

# خصائص السلوك الخُلُقي

يُستمد السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي سماته من حكمة الشريعة الإسلامية وخصائصها الرئيسة العامة. وفي هذا تميز عن كثير من الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس وفيما يلي بيان لأبرز هذه الخصائص :

## ١ ــ فطرية السلوك الخُلُقي :

ينطلق الإمام أبو حامد الغزالي في تعامله مع الذات الإنسانية من الفطرة السليمة التي تعتبر مصدراً هاماً وموجهاً للسلوك الخُلُقي من غير إفراط أو تفريط، ومن غير هوى أو مصلحة، ومن غير خطأ في الفهم والتوجيه.

فقد أكد – رحمه الله – أصل الفطرة السليمة وثبات الخير والصلاح في الذات الإنسانية: ((كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة)).(الغزالي، د. ت، ج٣ : ٦٠)

ويقف الإمام أبو حامد الغزالي موقفاً وسطاً من فطرة السلوك الخُلُقي المحمود نابعاً هذا الموقف من التصور الإسلامي لمعنى الفطرة فيقول :

فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة :

أ – تارة تكون بالطبع والفطرة.

ب – وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة.

ج – وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً . فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو غاية الفضيلة، ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء وتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صورته وحالته. (الغزالي، د. ت، ج ٣، ٦٠)

كما أوضح الإمام أبو حامد الغزالي في موضع آخر مدى تأثير الفطرة السليمة وانحرافها عن السلوك الخُلُقي المحمود منه أو المذموم فقال : ((... فكذا كل مولود يولد على الفطرة

فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. والمقصود بالتعليم والاعتياد يكتسب الرذائل، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وانما يكمل بالنشو والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم)). (الغزالي، د. ت : ٧٢)

والفطرة الإنسانية هي الجبلة الطيبة السليمة والخلقة التي أرادها الله تعالى للإنسان القويم. قال الله تعالى : قال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠]. وقد فسر الصابوني (١٩٨٩ م) معنى الفطرة بأنها " الخلقة التي أرادها الله تعالى للإنسان، وهي فطرة الإيمان والدين الحنيف ". (ص ١٢). وقال الحق تبارك وتعالى : قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]. وسياق الآية الكريمة لها دلالة واضحة وقوية على أصالة الفطرة في الذات الإنسانية والتي تلتقي في معنى واحد وهو الأُنس والنشأة القويمة.

ومما سبق يتضح للباحث أن السلوك الخُلُقي كما يراه الإمام أبو حامد الغزالي على نوعين :

أ – "ضروري دنيوي اقتضته الجبلة "، والفطرة :

ليس للإنسان فيه اختيار ولا اكتساب مما لا بد له منه فيها، فهي من واسع كرم المولى عز وجل وفضله ؛ مثل ما كان في جبلة وفطرة المصطفى ﷺ من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته، وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه. (عويس، ١٤١٣ هـ : ٤٥)

ويستشهد الباحث بحديث الأشج العصري أنه " **قال : قال لي رسول الله ﷺ : إن فيك لخلقين يحبهما الله منك، الحلم والأناءة. قلت يا رسول الله، أتخلق بهما أم جبلني**

**الله عليهما ؟ قال : بل جبلك الله عليهما، قلت : الحمد لله الذي جبلني على خلتين يرضاهما "** (الطبراني، ١٤٠٧ هـ، المعجم الأوسط، ج ٣، حديث رقم ٢٣٩٥ : ١٩١)

ب – " مكتسب ديني" يحمد فاعله، ويقرب إلى الله تعالى :

أي أن للإنسان فيه تدخل ذاتي من جهد وصبر ومثابرة مثل سائر الأخلاق والفضائل الشرعية من الدين والعلم والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والصمت، والوقار، والرحمة، والجود ... وهي التي جماعها حسن الخُلُق حتى يصير سلوكاً خُلُقياً له سجية وملكة.(اليحصبي،١٤٠١هـ : ٥٤)

ويرى يالجن (١٤١٨ هـ) أن معنى الفطرة عند بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس يتردد بين ثلاثة معان عامة هي:" الغريزة " و" الدافع " و " الميل ". فمثلاً عرف " ماكدوجل " الغريزة على أنها استعداد نفسي عضوي فطرياً كان أو موروثاً يجعل صاحبه يتخذ موقفاً محدداً إيجابياً أو سلبياً إزاء موضوعات معينة بعد إدراكه لها مباشرة. أما كلمة الدافع فلها استعمالات عدة لدى بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس منها الميل الفطري ومنها النزعات الانفعالية. (ص ٧٥)

ويرى الباحث أن أغلب النظريات والاتجاهات النفسية الغربية الحديثة تنظر إلى طبيعة الفطرة – أساس التكوين – الإنسانية نظرة بعيدة عن التصور الإسلامي للفطرة، أهمها كما ذكرها الشرقاوي (د. ت) :-

أ – أن بعض النظريات أو الاتجاهات ترى أن الإنسان تتحدد خصائصه الشخصية مسبقاً وذلك بحكم تكوينه الجسمي أو سماته الشخصية التي هي نتاج استعداداته. ومعنى ذلك أن الإنسان لا دخل له في تحديد سلوكه إلا بقدر ما تحدده له طبيعته واستعداداته، وكأنه قد تحدد سلفاً أنه سيكون خيراً أو شريراً.

ب – ترى بعض النظريات أو الاتجاهات بأن الإنسان يولد صفحة بيضاء ثم يتحدد سلوكه بشكل ميكانيكي أو آلي بمقتضى المثيرات البيئية، بمعنى آخر أن سلوك الإنسان ليس خيراً ولا شراً وانما البيئة هي التي تحدد هذه السلوكيات المتعلمة ويمثل هذا الاتجاه أصحاب النظرية السلوكية الكلاسيكية.

ج – ومن تلك النظريات أو الاتجاهات ما ترى بأن الإنسان شرير بفطرته تحركه غرائزه ومطالبه ورغباته تحقيقاً للذة، وأن مهمة البيئة هي قمع هذه الرغبات أو الغرائز وتهذيبها. ويعني هذا الاتجاه أن الإنسان معرض للقهر من البيئة أو بفعل المكبوتات من الغرائز " وميكانزمات " الدفاع في داخله وأشهر من تحدث عن هذا الاتجاه أصحاب نظرية التحليل النفسي.

د – ومن هذه النظريات أو الاتجاهات تعتقد بإيجابية طبيعة الفطرة الإنسانية فتراه أنه خير بطبعه وأن لديه القدرة على اتخاذ قراراته السلوكية في مجال ما. ورغم هذه النظرة الإيجابية فإن هذه النظريات أو الاتجاهات ترى أن حرية الإنسان محدودة ويتحكم فيها مجاله الخاص من خبراته وإدراكه الخاص لهذا المجال والذي يمكن أن يكون قاصراً في ضوء خبراته ويمثل هذا الرأي أصحاب الاتجاه الإنساني.

ويتضح مما سبق أن فطرية السلوك الخُلُقي من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي تعني أن السلوك الخُلُقي ذا جذور أصيلة في أعماق الذات الإنسانية، وأن الدين القيم هو الهادي والضابط للسلوك الخُلُقي، كما أن الوسائط الخارجية لها تأثير مباشر في ظهور السلوك الخُلُقي. ويظهر لدى الباحث أن بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة قد تتقارب مع أوضحه الإمام أبو حامد الغزالي حيث ترى الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة وبخاصة الاتجاه الجديد في العلاج السلوكي يعطي للجوانب الوراثية والعضوية أهمية وبذلك فهم يرون بأن الوراثة لها أثر كبير في السلوك الخُلُقي، بل في بعض الأحيان فإن العوامل الوراثية تكون هي الجانب المتحكم في السلوك بصفة عامة والسلوك الخُلُقي على وجه الخصوص (الشناوي، ١٤٠٧ هـ : ١٤٠)، كما أن التربية والتوجيه والإرشاد والعوامل الخارجية – الوسائط الاجتماعية – ضرورية لتهذيب نزعات الإنسان الفطرية إذا أردنا أن نوجهها وجهة خيرة نبيلة، إلا أن الإمام أبا حامد الغزالي يعني بالفطرة أصالة الخير والصلاح والنقاء، والدين الإسلامي كضابط إيماني نفسي مُوَجِهْ للسلوك الخُلُقي، وهذه ميزة فارقة بين نظرة الإمام أبي حامد الغزالي وغيره من الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس.

## ٢ ـ مرونة السلوك الخُلُقي :

أهتم الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – بهذه الخاصية حيث أوضح مدى إمكان تغيير وتعديل السلوك الخُلُقي واعادة تأهيله من السلوك الخُلُقي المذموم إلى السلوك الخُلُقي المحمود فقال : ((لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **حسنوا أخلاقكم** ". (ابن حنبل، ١٤١٣ هـ، من حديث رواه معاذ بن جبل : ٢٢٨)، وكيف ينكر هذا في حق آدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس والكلب من شره لأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق)). (الغزالي، د. ت : ٦٣)

ويضرب الإمام أبو حامد الغزالي مثالاً يوضح فيه إمكانية تغيير السلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي) إلى السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) وذلك عن طريق توظيف طاقات الإنسان النفسية الفطرية فقال : ((فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا تبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى)). (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٥٦)

ويشير الشناوي (١٤٠٧ هـ) " إلى أن قابلية تعديل وتغيير السلوك العام مبدأ أساسي من المبادئ التي يقوم عليها أصحاب الاتجاه السلوكي الحديث، كما أن هذا المبدأ يمثل فرضاً أساسياً تقوم عليه كل طرق العلاج والعلاج النفسي ". (ص ١٤١)

كما أوضح نجاتي (١٤١٤ هـ) " بأن السلوك الخُلُقي يمكن أن يكتسب بالتعلم ويمكن تغييره أيضاً بالتعلم وفي هذا اتفاق بين الإمام أبي حامد الغزالي وما يقوله علماء النفس المحدثون من أصحاب نظرية التعلم ". (ص ١٩١). وفي هذا اتفاق بين ما أشار إليه الشناوي (١٤٠٧ هـ)، وبين ما أوضحه نجاتي (١٤١٤ هـ) حول قابلية السلوك الخُلُقي للتغيير أمر متفق عليه بين كثير من علماء الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس ؛ هذا الاتفاق قد أوضحه الإمام الجليل أبو حامد الغزالي في كثير من كتاباته حيث أشار إليه بوضوح وقد أوضحه الباحث فيما سبق.

أشار جمل الليل (١٤١٩ هـ) " بأن وصف السلوك بالمرونة – بصفة عامة – جعل القائمين على العمل الإرشادي والتربوي والإداري وغيرهم متفائلين بإمكان تغيير سلوك الفرد وتعديله عن طريق العوامل المؤثرة في هذا السلوك سواء بتغييرها أو تعديلها أو تنميتها أو تعزيزها ". (ص ٣٠)

وتناولت بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس إمكانية تغيير و تعديل السلوك غير السوي بشكل عام فقد اهتمت المدرسة السلوكية بعمليات تعديل وتطوير السلوك حيث قام سكينر باستخدام أسلوب " التشكيل " حيث يقوم بإعادة تشكيل سلوك الكائن من أجل الوصول إلى السلوك المرغوب، وإعادة التشكيل يتم على ضوء مجموعة من الخطوات المنظمة وتتزايد حتى يقارب السلوك المرغوب فيه. حيث لاحظ سكنر ثلاثة أنواع للتعزيز تؤثر في عملية إعادة تشكيل السلوك وهي : – التعزيز المستمر : وفيه يتم تعزيز السلوك المرغوب في كل وقت يظهر فيه. التعزيز المتقطع : وفيه يتم تعزيز سلوك الإنسان بعد فترة معينة بغض النظر عن ظهور الاستجابة المرغوبة من عدمه. التعزيز النسبي : وهو محدد بعدد الاستجابات المناسبة التي تصدر من سلوك الإنسان. (انجلر، ١٩٩١ م : ٣٥٢)

وأكد باندورا على أهمية تغيير أو تعديل السلوك عن طريق"الملاحظة" أو القدوة فهو يشير إلى أن عملية التفسير والتعديل متعلم وذلك باتباع نموذج أو مثال حي وواقعي وليس من خلال عمليات الاشتراط الإجرائي. (المرجع السابق : ٣٦٥)

كما أوضح فتحي (١٩٨٣ م) " بأن ماكدونالد" قام بإجراء دراسة لإظهار أن الاتجاهات الأخلاقية يمكن تغييرها وتعديلها بل وعكسها باستخدام التعزيز المصاحب للاستجابة، واستخدام النماذج الاجتماعية المناسبة لكل مرحلة عمريه ". (ص ٢١)

ويتضح للباحث من خلال ما أوضحه الإمام أبو حامد الغزالي بأن السلوك الخُلُقي يتصف بأنه مرن وقابل للتعديل وإعادة التأهيل والتنمية الذاتية لكل جوانب الإنسان إلى الأفضل – بسبب الاستعداد الفطري والقابلية الخُلُقية لتقبل عمليتي التغيير والتعديل –، فلو كان السلوك الخُلُقي جامداً لا يخضع للتغيير والتعديل فإنه لا يكون هناك إمكان لتقويم وتعديل

السلوك الخُلُقي المذموم أو المنحرف منه. كما اهتمت المدرسة السلوكية بعملية تعديل وتغيير السلوك غير السوي إلى سلوك مرغوب فيه.

## ٣ ـ واقعية السلوك الخُلُقي :

تتجـــلى خصيصة الواقعية عند الإمام أبي حامد الغزالي في نظرته إلى إمكان ممارسة هذه المعـــارف الأخلاقية عملياً لتصبح سلوكاً تطبيقياً يلتزم به الإنسان في كل الظروف والمواقف، لأن المعارف الأخلاقية لا قيمة لها إلا إذا ترجمت إلى سلوك خُلُقي عملي وواقعي مقبول يتعامل مع طبيعة وقدرة الإنسان كما هو، ولا يتطلب منه ليكون سلوكه خُلُقياً غير ما يحتمل.

ويصف الإمام أبو حامد الغزالي ذلك فقال : ((ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل،.. والإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمـــل بالأركـــان، ودلـــيل الأعمال أكثر من أن يحصى إن العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه، لكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته لأن رحمة الله قريب من المحسنين)). (أيها الولد، د. ت : ١٠٣)

ويـــرى الباحث أن السلوك الخُلُقي الرفيع إذا تم تحقيقه عملياً كسلوك ممارس في جميع المواقف اليومية وكان الهدف منه معاملة الحق سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته في جميع الظروف يعتبر من أقرب العبادات والأعمال المقبولة إلى الحق سبحانه وتعالى. ويؤكد ذلك الإمام – رحمه الله – في موضـــع آخـــر شـــارحاً الآية الكريمة : قال الله تعالى : ﴿...إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ..﴾ [فاطر: ١٠]

فقال : ((و الكلم الطيب هو التوحيد والمعرفة، والعمل الصالح هو طهارة القلب وتأثره بهما لينقاد خضوعاً ومسكنة ومهابة ومعنى الرفعة هو حضور القلب وتأثره بهما لينقاد خضوعاً ومسكنة ومهابة. فحينئذ يكون قريباً من الله تعالى)). (الغزالي، ١٤١٤ هـــ : ٧٤)

ويتفق الباحث مع ما أوضحه الإمام أبو حامد الغزالي بأن السلوك الخُلُقي مبني على إسلامية واقعية، راعت الطاقة المتوسطة التي قدرها الخالق سبحانه وتعالى لعامة الأفراد، فاعترفت بالضعف البشري، وبالدوافع البشرية، وبكل الحاجات البشرية المادية والنفسية.

وقد لخص القرضاوي (١٤٠٦ هـ) أهم المميزات التي توضح واقعية الأخلاق الإسلامية بصورة عامة وهي مميزات توضح ملامح واقعية السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي وأهمها :

أ – أنها أقرت التفاوت الفطري والعملي بين الناس، فليس كل الناس في درجة واحدة من حيث قوة الإيمان والالتزام بما أمر الله به من أوامر والانتهاء عما نهى عنه من نواه، والتقيد بالمثل العليا. فهناك مرتبة الإسلام، مرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان.

ب – أن الأخلاق الإسلامية لم تفترض في أهل التقوى أن يكونوا بُرءآ من كل عيب معصومين من كل ذنب، ومزية المتقين إنما هي الرجوع إلى الله.

كذلك يؤكد قطب (١٤٠٧ هـ) بأن التصور الإسلامي للإنسان يتعامل مع هذا الإنسان الواقعي، الممثل في هؤلاء البشر كما هم بحقيقتهم الموجودة مع هذا الإنسان ذي التركيب الخاص، والكينونة الخاصة. الإنسان من لحم ودم وأعصاب، وعقل ونفس وروح، الإنسان ذي النوازع والأشواق، والرغائب والضرورات، الإنسان الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويحيا ويموت، ويبدأ وينتهي، ويؤثر ويتأثر، ويحب ويكره ... إلى آخر سمات الإنسان الواقعي وصفاته المميزة. (ص ١٧٣)

ويرى مرسي (١٤٠٣ هـ) بأن سبب الاضطراب الواقع في السلوك الخُلُقي في الحياة نتيجة جهل الإنسان بكل ما يتعلق بالوجود الإنساني.. عن منشأ الإنسان وكيف ينبغي أن يعيش، وكيف يمكن استغلال الطاقات الهائلة بداخلة لاسعاد نفسه والآخرين، كما أصبحت مفاهيم التقدم تعبر عن أوهام، ومفهوم " الواقعية " يشير إلى افتقار الثقة في الإنسان وإنسانيته وتحويله إلى آلة صماء تعبد المادة وتجرده من أخلاقه وقيمه ومبادئه. (ص ١٠٣)

ويتضح للباحث مما سبق أن السلوك الخُلُقي كما يراه الإمام أبو حامد الغزالي عملي وواقعي من حيث إمكانية تحقيقه في واقع الذات الإنسانية، وأن السلوك الخُلُقي يستطيع أن يرتقي بالإنسان إلى المعالي، لذا لا بد أن يتسم السلوك الخُلُقي بالطابع العملي.

## ٤ ـ مثالية السلوك الخُلُقي :

تتميز أغلب كتابات الإمام أبي حامد الغزالي في كثير من مؤلفاته أنه يوجه السلوك دائماً نحو المثل السامية، فقد عنى ببث الأخلاق السلوكية الكريمة وغرس الفضائل في نفوس الأفراد، وتعويدهم التمسك بالفضيلة، وتجنب الرذيلة، والتحذير المتكرر من مساوئ الأخلاق. فقال ـ رحمه الله ـ : ((الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٤٩)

ويؤكد ـ رحمه الله ـ أن مثالية السلوك الخُلُقي تتجلى في مكارم الأخلاق ((قال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩] معناه تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعرض عمن جهل عليك، وتحسن إلى من أساء إليك، فكان ﷺ مبعوثاً بمكارم الأخلاق ... ومن السخاء إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، والصلاة بالليل والناس نيام، ونيل المكارم باجتناب المحارم. مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنة قول لطيف يتبعه فعل شريف. مكافأة المحسن بأكثر من إحسانه. صاحب مكارم الأخلاق هو الذي لا يحوجك أن تسأله، ولا يزال يعتذر ضد اللئيم الذي لا يزال يفتخر، والتغافل عن زلل الإخوان والمسارعة إلى قضاء حوائجهم، وطرح الدنيا لمن يحتاج إليها)). (الغزالي، ١٤١٤ هـ : ٨٩)

كما أكد ـ رحمه الله ـ على أهمية الارتقاء بالسلوك الخُلُقي المحمود إلى أرقى مكارم الأخلاق عن طريق المجاهدة وتهذيب الغرائز وضبط الشهوات وعدم سيطرتها على الذات الإنسانية، والتخلق بالأخلاق القويمة أمر ممكن فيقول : ((طريق إصلاح هذه الأخلاق كلها بالمجاهدة والرياضة)). (الغزالي، ١٤٠٠ هـ : ١٣٧)

ويستشهد الإمام أبو حامد الغزالي بالآيات القرآنية العظيمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على إمكان تزكية أعماق النفس عن الأخلاق المذمومة والوصول بالذات الإنسانية إلى السلوك الخُلُقي المثالي فقال : ((قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ [الأعلى:١٤] والتزكية هي التطهير. وقال رسول الله ﷺ" **الطهور شطر الإيمان** " (النيسابوري، ١٣٧٤ هـ، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم ٢٢٣ : ٢٠٣)، فافهم منه أن كمال الإيمان بتزكية القلب عما لا يحبه الله عز وجل، وتحليته بما يحبه الله. فالتزكية شطر الإيمان)). (الغزالي، ١٤٠٠ هـ : ٧٨)

من خلال ما سبق يتبين أن التسامي بالسلوك الخُلُقي إلى معالي الأخلاق النموذجية أمر ممكن وأن ذلك أمر مطلوب ومرغوب تحث عليه الشريعة الإسلامية باستمرار ؛ بل أن الذات الإنسانية تستطيع أن تصل إلى أعلى مراتب الاطمئنان والرضا وأكمل مراتب الإحسان بتزكيتها من جميع الرذائل الخُلُقية والغايات السيئة وتحليتها بالفضائل وإشباع حاجاتها بالعبادات واقامة صلتها بالله باستمرار ؛ لتكون قادرة على دفع الإنسان إلى التسامي على الغرائز والاستعلاء على الشهوات. (يالجن، ١٤١٨ هـ)

ويرى الباحث أن هذه النظرة الإيجابية للمثالية في السلوك الخُلُقي من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي نظرة مميزة، تحاول أن ترتقي بالذات الإنسانية إلى أعلى درجات السمو والإيجابية، والقرب من كل خُلُق سني يقرب إلى الحق سبحانه وتعالى. وفي هذا اختلاف عما جاءت به بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس في نظرتها للإنسان، وبخاصة وجهة النظر الإنسانية التي تهتم بالجوانب المشرقة في الإنسان، ومواضع القوة فيه، وسعيه الإيجابي لتحقيق ذاته وإنسانيته. – وإن كان هناك تقارب ظاهري حول توظيف جوانب الخير والإيجابية في الذات الإنسانية – والجديد في نظرية علم النفس الإنساني بأن الطبيعة الإنسانية خيرة وليست شريرة على الإطلاق، لأن بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة يذهبون إلى أن الفطرة أو الغرائز شريرة الأصل أو المنشأ،وينبغي لذلك ترويض الإنسان بالتربية والتعليم – وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي. هذا الاختلاف يظهر في نظرة الإمام أبي حامد الغزالي –

رحمه الله – حول أصالة جانب الخير في الإنسان، وأن حالة الشر ما هي إلا انحراف عن الأصل – الفطرة السليمة – وهي تزول بزوال الأسباب والعوامل.

## ٥ – وسطية السلوك الخُلُقي :

يشير الإمام أبو حامد الغزالي إلى هذه الخصيصة بقوة ويؤكد عليها كثيراً في أغلب مؤلفاته، ويعبر عنها أحياناً بالاعتدال الخُلُقي الذي ينبغي أن تكون عليه حقيقة السلوك الخُلُقي فقال : ((فأما حقيقة حُسْن الخُلُق : فأعلم أن للإنسان صورة باطنة وهي التي بعثت الأنبياء بتقويمها وتزكيتها وكمال اعتدالها وذلك أن تصدر عنها الأخلاق المحمودة بسهولة بلا روية ولا فكر. وهذا معنى حقيقة حُسْن الخُلُق، وسوء الخلق يكون بعكس ذلك)). (الغزالي، ١٤١٤ هـ : ٧٤)

ويضرب الإمام أبو حامد الغزالي مثالاً يوضح فيه أصول الوسطية المعتدلة في السلوك الخُلُقي ((فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة :

أ – الحكمة.

ب – والشجاعة.

ج – والعفة.

د – والعدل.

ونعني بالحكمة : حالة للنفس يدرك بها الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية، ونعني بالعدل : حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها، ونعني بالشجاعة : كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها، ونعني بالعفة : تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها)). (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٥٤)

كما أوضح الإمام أبو حامد الغزالي في الشكل رقم (٣) وسطية السلوك الخُلُقي في حالة الاعتدال والاضطراب في بعض كتبه (ميزان العمل، د. ت : ٧٦، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ١٤٠١هـ : ٨٥، روضة الطالبين وعمدة والسالكين،١٤١٤هـ : ٧٥)

| أمهات الأخلاق | السلوك الخُلُقي المحمود في حالة الاعتدال | السلوك الخُلُقي المذموم في حالة الاضطراب |
|---|---|---|
| ١ – قوة العقل (الحكمة) | يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس | تصدر الجزبرة والمكر والخداع والدهاء. ومن تفريطها : يصدر البله والغمارة والحمق والجنون |
| ٢ – خلق الشجاعة | : فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة | فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها : فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب |
| ٣ – خلق العفة | فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع | الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك. |

ثم حـــدد الإمام – رحمه الله – حقيقة الوسطية فيقول : ((ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم أن من استوى على هـــذا الصراط المستقيم في الدنيا، جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن مـــيل عن الصراط المستقيم – أعني الوسط – حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه معلقاً بالجانب الذي مال إليه)). (المرجع السابق، د. ت، ج ٣ : ٦٣)

كما أوضح مدى أهمية ضبط قوى النفس عند حدود الوسطية الخُلُقية، حيث لا إفراط ولا تفريط وبذلك يتحقق التوازن بين قوى الذات.

قـــال – رحمه الله – ((معنى حسن الخُلُق في الجميع وسط بين الإفراط والتفريط، فخير الأمـــور أوســـطها. وكلاً طرفي قصد الأمور ذميم، ولذلك قال عز وجل :﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧] قال الله تعالى : ﴿... أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ... ﴾ [الفتح:٢٩] ومهما مال واحد مـــن هذه الجملة إلى الإفراط والتفريط فبعد لم يكمل حسن الخُلُق)). (الغزالي، ١٤٠٠ هـــ : ١٣٧)

ومن خلال النصوص السابقة يتضح إن الإمام أبا حامد الغزالي يقرر أن الإنسان يحتاج إلى أن يكون سلوكه الخُلُقي دائماً متوسطاً متوازناً إذ عن طريق هذه الوسطية المتوازنة يستطيع أن يحقق بنشاط وفاعلية السلوك الخُلُقي المحمود.

كما يتضح أن هذه الوسطية الخُلُقية تنطلق من مبادئ راسخة أقرها الشرع الإسلامي وفق مستويات محددة ومُقدرة تتناسب مع طبيعة التكوين الإنساني منذ طفولته حتى انتهاء فترة خلافته في الحياة الدنيا.

ومن جهة أخرى يرى الباحث أن هذه الوسطية المتوازنة في السلوك الخُلُقي لا توجد بهذا المسمى عند بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة، إلا أنهم أشاروا إلى ملامح ومؤشرات للسلوك الخُلُقي (السوي) الذي يصدر من الشخصية السوية التي تتميز بالتوافق النفسي. كما

يرى الباحث أن هذا التوسط والاعتدال الخُلُقي تأكيد لمفهوم"الاتزان الانفعالي" ووسيلة لتحقيق التوافق المتكامل. (الأحمد، ١٤١٧ هـ)

في ضوء ما سبق نما لدى الباحث أن الإمام أبا حامد الغزالي في نظرته للذات الإنسانية قد أعطى مفهوماً للوسطية يقوم على الاعتدال الخُلُقي الأصيل الذي يحقق رغبات الإنسان في الدنيا التي يعيشها ويزيده اطمئناناً في الحياة الأخرى والفوز بالجنة وابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى، وبخاصة أن هذا الاعتدال الخُلُقي يكون أقرب إلى الذات الإنسانية وأبعد ما يكون عن السلوك الخُلُقي المذموم وهذا بطبيعة الحال نابع من طبيعة الإنسان وقابليته الفطرية. كذلك يظهر الاعتدال الخُلُقي جلياً في سيما أصحاب النفوس المطمئنة وهي النفوس التي تحاول أن تتقرب إلى الحق سبحانه وتعالى بكافة أنواع السلوك الخُلُقي الرفيع.

## ٦ ـ مراعاة الفروق الفردية في السلوك الخُلُقي :

أكد الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – على ضرورة مراعاة الفروق الفردية، والاختلافات النفسية، والعقلية، والخُلُقية، والمزاجية بين الأفراد، فتناول هذه الجوانب في كثير من مؤلفاته. فقد أشار – رحمه الله – إلى هذه الخصيصة بوضوح.

فقال : ((.. فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار، وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية ؟ فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطيب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم. وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم)). (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٦١)

كما بين – رحمه الله – بوضوح مفهوم الفروق الفردية ودورها في عملية تغيير وتعديل السلوك الخُلقي فيقول : ((نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافهما سببان :

١ – قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان، ولكن أصعبها أمراً وأعصاها على التغيير قوة الشهوة بأنها أقدم وجوداً إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة، ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز.

٢ – إن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب :

أ – الإنسان الغافل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح، بل بقي كما فطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات، و لم تتسم شهوته أيضاً باتباع اللذات، وهذا سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد، وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيتحسن خلقه في اقرب زمان.

ب – أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقياداً لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره اصعب من الأول، إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه ؛ إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولاً من كثرة الاعتياد بالفساد، والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجدٍ وتشمير وحزم.

جـ – أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربي عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال.

د – أنَ يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب)) (المرجع السابق : ٥٦)

يتضح مما سبق أن السلوك الخُلُقي يخضع لمفهوم الفروق الفردية وهذا ما أكدته أغلب الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس، حيث الاختلافات بين الأفراد هو " اختلاف في الدرجة وليس في الصفة أو الخاصية ". (السليماني و بار، ١٤١٦هـ)

يقول راجح (د. ت) : ((والناس بالرغم من أنهم يخضعون جميعاً لنفس القوانين السيكولوجية – النفسية – في إدراكهم وتعلمهم وتذكرهم وتفكيرهم وفيما يدفعهم إلى السلوك إلا أنه يبعد أن يكونوا متساوين في تكوينهم النفسي. فكل شخص فذ فريد في نوعه، له نمطه الخاص من الصفات الجسمية والقدرات العقلية والسمات الخُلُقية والاجتماعية. وكما يختلف الناس بعضهم عن بعض في الشكل والحجم والمظهر كذلك يختلفون في الذكاء والمزاج والخُلُق والاستعدادات الخاصة وقوة الدوافع والقدرة على التعلم والقابلية للتعب واحتمال الشدائد والحرمان)). (ص ٣٧١)

ويتضح مما سبق أن الإمام أبا حامد الغزالي – رحمه الله – قد أكد على وجوب مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد، ودراسة حالة وظروف الفرد الذي يعالج أو يرغب في المساعدة، ووصف الطريقة والأسلوب المناسب الذي يتلاءم مع أحواله وطبيعة حاجاته وقد أوضحت أغلب الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس مفهوم الفروق الفردية بشيء من التفصيل في شتى مجالات علم النفس، حيث اهتمت بالأفراد، وبالاختلافات الخُلُقية، والفروق الفردية في القدرات والاستعدادات والميول الشخصية، وفي المزاج والخُلُق، وفي الصحة العامة والتي تميزه عن غيره من الأفراد. وقد أوضح الجسماني (١٤١٤ هـ) بأن دراسات " تيرمان " وما توصلت إليها من نتائج حول وجود الفروق الفردية في الصفات الخُلُقية لدى الموهوبين من الأطفال فيقول : ((يلزم التأكيد من أن المرء واجد دون شك بين فئات الموهوبين من الأطفال استثناءات في القاعدة العامة لا يحدها الحصر فيما تصل بالخُلُق، والشخصية، والاستقرار الانفعالي)). (ص ٢٥٥)

يستنتج الباحث في ضوء المعطيات السابقة أن الإمام أبا حامد الغزالي – رحمه الله – قد أكد على أن السلوك الخُلُقي المحمود أصل وفطري في الذات الإنسانية بينما السلوك الخُلُقي المذموم عارض ومكتسب يزول بزوال الأسباب. حيث لا ينبغي للإنسان أن يستسلم للسلوك

الخُلُقي المذموم المكتسب، كما أوضح الإمام خصائص السلوك الخُلُقي وأنها تتميز بالمرونة،والواقعية،والمثالية،والوسطية،كما اتفقت كل من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة على أن السلوك الخُلُقي قابل للتغيير والتعديل، وأن عملية التغيير والتعديل واردة ولكن تحتاج إلى مهارة وجهد لأن الأفراد يختلفون فيما بينهم نظراً لتأثير مفهوم الفروق الفردية بين الأفراد. وأن جميع القدرات والسمات والأخلاق في الفرد الواحد لا تتساوى.

## معيار السلوك الخُلُقي

عالج الإمام أبو حامد الغزالي مفهوم المعيار بدقة حيث استخدمه كميزان للتمييز بين السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) والسلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي) كما اعتبره مقياساً يمكن الحكم من خلاله على السلوك الخُلُقي بأنه مقبول أو غير مقبول، حسن أو قبيح، جيد أو رديء وفق مرجعية شرعية موزونة بكتاب الله والسنة النبوية المطهرة. قال : – رحمه الله – عندما سُئل عن القسطاس المستقيم الذي يزن الإنسان به أفعاله وأمور دنياه ((هي الموازين الخمس التي أنزلها الله في كتابه وعلم أنبيائه الوزن بها. فمن تعلم من رسول الله ﷺ ووزن بميزان الله فقد اهتدى. ومن ضل عنها إلى الرأي والقياس فقد ضلّ وتردّى)). (الغزالي، د. ت : ٥)

ثم شرح هذه الموازين فقال : ((واعلم يقيناً أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته لتتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا هم من ملائكته، فإن الله تعالى هو المعلم الأول، والثاني جبريل، والثالث الرسول ﷺ والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق إلى المعرفة إلا بهم)). (المرجع السابق : ٦)

وأكد في موضع آخر على أهمية أن تكون الشريعة الإسلامية هي الأساس التي تحدد كل قواعد السلوك الخُلُقي الممارس فيقول : ((أن يكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع، موقوفة على حد توفيقاته ايراداً وإصداراً وإقداماً وإحجاماً، إذ لا سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ولا يمكن ذلك إلا بعد تهذيب الأخلاق)). (الغزالي، د. ت : ١٦٦)

كما أوضح الإمام أن امتثال معيار الشرع يساعد المرء للوصول إلى أفضل مستويات السلوك الخُلُقي المحمود، إلا أن الاختلافات والفروق الفردية لها تأثير في عملية فهم واستيعاب مستوى السلوك الخُلُقي المحمود منه أو المذموم بين الأفراد. وقد بين ذلك فقال : ((وهو أن يتيسر عليك بذل ما يقتضي الشرع والعقل بذله عن طوع ورغبة ويتيسر عليك إمساك ما يقتضي الشرع والعقل إمساكه عن طوع ورغبة وكذلك سائر الصفات، والواحد منها كاف في المثال، وإذا عرفت أن معيار الأعمال مأخوذ من مقدار الصفات والأخلاق لم يخف عليك أن الطريق في هذا تختلف باختلاف الأشخاص وتختلف في حق شخص واحد باختلاف الأحوال)). (الغزالي، د. ت : ٧٥)

فمعيار السلوك الخُلُقي كما يقرره الإمام أبو حامد الغزالي يستند على مصدرين من المصادر الأساسية التي يقوم عليها بناء الدين الإسلامي وهما : القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة كمرجعية ثابتة لكل المعايير الأخلاقية ؛ والتي يتحدد من خلالها ما هو متوقع ومعتاد وصواب أو مناسب في شتى المواقف. هذان المصدران اللذان جعلهما الله شريعة ومنهجاً يستقي منهما الإنسان المسلم جميع المعايير التي تضبط سلوكه الخُلُقي وتجعله يُصدر أرقى أنواع السلوك الخُلُقي المحمود حيث تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بياناً لكثير من الآداب والأخلاق السلوكية القويمة التي توجب العباد بالعمل بمقتضاها واتخاذها مقياساً لكل التصرفات والأعمال فما حث به الشرع القويم وأقره أو نهى عنه يعتبر مقياساً للعقل السليم يوجب المرء العمل بما يتضمنه من أوامر ونواهي.

قال الهدار – رحمه الله – : (د. ت) ((حُسْنُ الخُلُقْ أكبر مجموعة من مسائل الدين فعلاً وتركاً ؛ فجميع أوامر الشريعة فضائل، وجميع نواهيها رذائل، والاتصاف بهما فعلاً وتركاً هو غاية الإيمان وهو مثال حُسن الخُلُق)). (ص ٦).

وبذلك يتضح أن المعيار الذي يحدد السلوك الخُلُقي هو معيار شرعي إلهي يتميز بالثبات والتكامل، والشمول، والدقة، ويحدد بوضوح كل ما ينبغي أن يكون سلوكاً خُلُقياً محموداً وما لا ينبغي أن يكون سلوكاً خُلُقياً غير محمود، ولأهمية مفهوم المعيار الشرعي في نظر الإمام أبي

حامد الغزالي – رحمه الله –فقد تعرض له بصورة أو بأخرى، حيث يتمثل هذا المعيار الشرعي من وجهة نظر الإمام في :

## ١ – العقل السليم الموجه من الشرع الإسلامي :

جعل الإمام – رحمه الله – العقل السليم بتوجيه الشرع ضابطاً ومعياراً للسلوك الخُلُقي، فجميع قوى النفس الإنسانية وشهواتها باستثناء القلب تحت تصرف العقل، واعتبر ذلك طريقاً لسلامة الحياة الإنسانية. (البريزات، ١٤٠١ هـ)

فقد صاغ الإمام معياراً محدداً لضبط السلوك الخُلُقي فقال : ((أن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل)). (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٥٩)

كما أوضح دور العقل السليم كمرشد لمعرفة المبادئ الإسلامية الأخلاقية وتمثلها كسلوك خُلُقي محمود والابتعاد عن السلوك الخُلُقي المذموم، فيقول : ((.. وأما حسن الخُلُق فبأن يزيل جميع العادات السيئة التي عرف الشرع تفاصيلها ويجعلها بحيث يبغضها فيجتنبها كما يجتنب المستقذرات، وأن يتعود العادات الحسنة ويشتاق إليها فيؤثرها ويتنعم بها)). (الغزالي، د. ت : ٦٩)

وهكذا فالعقل السليم الذي يتفق مع الشرع الإسلامي ولا يخالفه على شئ منها له تأثير مباشر في الذات.

## ٢ – الاعتدال الخُلُقي :

أوضح الإمام أبو حامد الغزالي أهمية معرفة المرء مدى تكون السلوك الخُلُقي في نفسه فقال : ((فإن قلت بماذا اعلم أن الحاصل لي هو الخُلُق الجميل وهو الوسط المعتدل بين طرفي الإفراط والتفريط، فطريقك أن تنظر في الأفعال التي يوجبها ذلك الخُلُق الذي فيه مجاهدتك فإذا التذذت بفعله فاعلم أن الخُلُق الموجب له راسخ في نفسك، فإن كان ذلك الفعل قبيحاً فاعلم أن الخُلُق القبيح مثل أن تلتذ بإمساك المال وجمعه فموجبه خُلُق البخل فعود نفسك نقيضه، والأخلاق الحسنة والسيئة قد فصلها الشرع ويجمعها ما صنف في آداب النبي عليه السلام وهي مشهورة)). (الغزالي، د. ت : ٧٤)

كما بين – رحمه الله – تأثير الصفات الخُلُقية المحمودة أو المذمومة في السلوك فقال :

((.. ومهما حصلت هذه الأخلاق صدرت منها هذه الأفعال، أي يصدر من خلق الشجاعة الإقدام حيث يجب وكما يجب وهو الخُلُق الحسن المحمود ... فلا الشدة في كل مقام محمودة، ولا الرحمة في كل، بل المحمود ما يوافق معيار العقل والشرع)). (المرجع السابق : ٧٨)

وقد تناول علامات اعتدال السلوك الخُلُقي المحمود فقال : ((هو أن يكون : كثير الحياء قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً، وصولاً، وقوراً، صبوراً، شكوراً، راضياً حليماً رقيقاً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً ولا غماماً ولا مغتاباً ولا عجولا، ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو الخُلُق الحسن)). (الغزالي، د. ت، ج ٣: ٧٠)

ويظهر للباحث أن علامة الاعتدال الخُلُقي، واكتمال السلوك الخُلُقي الرفيع هو أن تمتد الأخلاق الطيبة إلى أعماق الذات الإنسانية فتصدر عنها بسهولة ويسر بصفة مستمرة، وأن يصبح السلوك الخُلُقي المحمود صفة نفسية مستقرة محببة إلى المرء، وأن يتنعم به ويكره الأفعال القبيحة.

## ٣ – توظيف الغرائز الفطرية :

أوضح الإمام أبو حامد أهمية توظيف قوى النفس الفطرية ودورها في ظهور السلوك الخُلُقي فقال : ((تمام السعادة مبني على ثلاثة أشياء : قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطاً لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك، فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العدل دل على طريق الهداية. وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل، وإذا نقص ذهبت الغيرة والحمية في الدين والدنيا، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة. وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور وإن نقصت كان العجز والفتور، وإن توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك)). (الغزالي، ١٤١٨ هـ : ١٣٠)

كما أكد الإمام على مراقبة الغرائز الفطرية وضبطها بمعيار شرعي فقال : ((وعلى الإنسان أن يراقب شهوته والغالب عليها الإفراط لاسيما إلى مقتضى الفرج والبطن والى المال والرياسة وحب الثناء والإفراط والتفريط في كل ذلك نقصان وإنما الكمال في الاعتدال، ومعيار الاعتدال العقل والشرع وذلك أن يعلم الغاية المطلوبة من خلق الشهوة والغضب)). (الغزالي، د. ت : ٨١)

ويتضح مما سبق أن الإمام أبا حامد الغزالي يوجه الاهتمام دائماً إلى القيم الخُلُقية الخيرة الأصيلة – الفطرية – في أعماق الذاتية الإنسانية، وإمكان توظيفها وتنميتها لتظهر في شكل سلوك خُلُقي إيجابي راقي بتوجيه من الشرع الإسلامي والعقل السليم. وبالتالي تحصل في الذات الإنسانية "هيئة خُلُقية نفسية " وضابط خُلُقي داخلي يضبط جميع النوازع الغريزية ويوظفها في اعتدال لتسمو بالمرء إلى السلوك الخُلُقي المحمود باستمرار.

ويوضح الشكل رقم (٤) تأثير قوى النفس الفطرية على السلوك الخُلُقي المحمود عند الإمام أبي حامد الغزالي –رحمه الله –

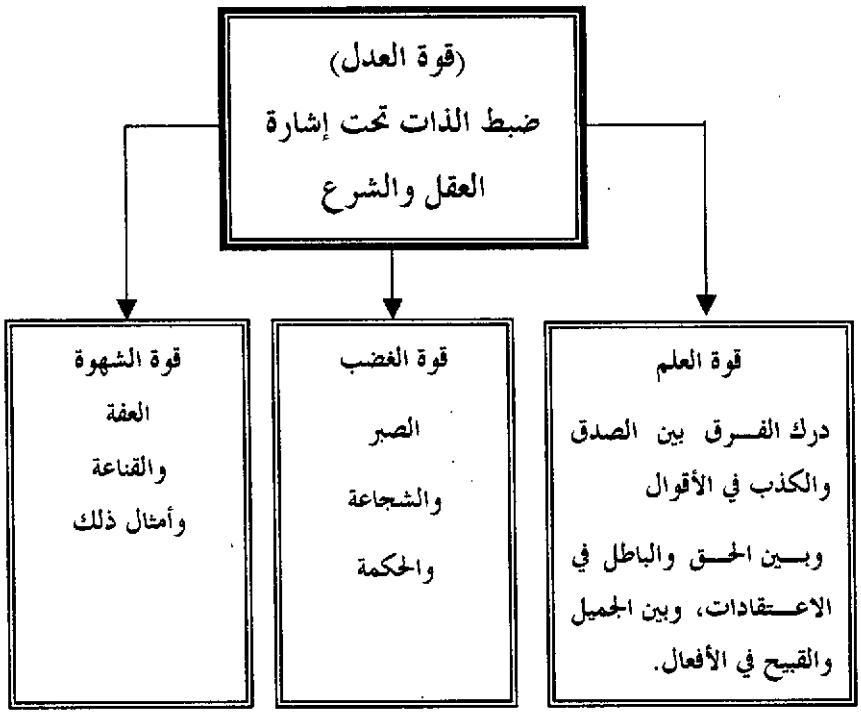

### ٤ ـ الصحة النفسية :

أكـــد الإمام أبو حامد الغزالي أن السلوك الخُلُقي المحمود دليل على صحة النفس، وأن الانحراف عن هذا السلوك الخُلُقي المحمود دليل على مرض النفس وسقمها، وينظر الإمام لهذا المعـــيار من جانب آخر فقال: ((قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والمـــيل عن الاعتدال سقم ومرض فيها، كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال مرض فيه)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٦٠)

ومـــا سبق يتضح أن الإمام أبا حامد الغزالي قد جعل مثال الصحة النفسية من دلالات الســـلوك الخُلُقـــي المحمـــود، وضعف الصحة النفسية من علامات اضطراب السلوك الخُلُقي المحمود، فإزالة الرذائل وتطهير النفس من السلوك الخُلُقي المذموم يشفيان النفس من مرضها وعلتها.

### ٥ ـ التقوى النفسية :

أوضح الإمام أبو حامد الغزالي معنى التقوى ودورها في امتثال السلوك الخُلُقي المحمود والابتعاد عن السلوك الخُلُقي المذموم فقال : ((اعلم أن خيرات الدنيا والآخرة قد جمعت تحت خصـــلة واحدة وهي التقوى، وتأمل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد علـــيها من ثواب وكم أضاف إليها من سعادة. ثم أعلم أن الذي يختص به هذا الشأن من أمر العبادة ثلاثة أصول :

الأول : التوفـــيق والتأييد أولاً حتى تعمل وهو للمتقين، كما قال الله تعال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]

والـــثاني : إصـــــلاح العمل وإتمام التقصير حتى يتم وهو للمتقين كما قال الله تعالى : ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ [الأحزاب:٧١] والثالث : قبول العمل إذا تم وهو للمتقين، كما قال الله تعالى : ﴿... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧] ومدار العبادة عـــلى هـــذه الأصول الثلاثة التوفيق والإصلاح والقبول. وقد وعد الله تعالى ذلك كله على

الـــتقوى وأكرم به المتقي سأل أو لم يسأل. فالتقوى هي الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقصد دونها)) (الغزالي، ١٤١٤ هـــ : ٧٠)

فالتقوى باعتبارها قوة نفسية تدفع الإنسان لعمل الخير وتصده عن عمل الشر إذ تعني التقوى في حقيقتها امتثال الأوامر الشرعية واجتناب الزواجر المنهية.

ويـــرى عـــبد الرحمن (١٤١٢ هـــ) " بأن التقوى هي معنى قلبي ينشأ عن طاعة الله ائتماراً، فيكون واعظاً، وعن طاعته انتهاءاً، فيكون زاجراً. وبفضل هذا الواعظ القلبي والزاجر الباطني، يتطلع المتقي إلى مراقبة أفعاله وإتقان عمله ". (ص ٢١٣)

وأســـتدل الحداد (١٤١٣ هـــ) على معنى التقوى كأساس جوهري للسلوك الخُلُقي القـــويم فقال : ((التقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه ظاهراً وباطناً، مع استشعار التعظيم لله سبحانه وتعالى، والهيبة والخشية والرهبة من الجبار سبحانه وتعالى)). (ص ١٢)

ويؤكد العبد القادر (١٤١٢ هـــ) بأن التقوى كوازع خُلُقي تكون قوة نفسية قادرة على توجيه السلوك الإنساني إذا نشأ على المثل العليا.. إيماناً وعلماً.. وعملاً بالتالي تستطيع أن تقوم بالوظائف الآتية :

١ – محاسبة النفس الأمارة لضبط جموحها والحد من طغيان الهوى والشهوات وتجاوزها حدود المباح.

٢ – توجيه سلوك الإنسان قولاً أو فعلاً بدءاً بإصلاح النية والقرار ثم العمل

٣ – الرقابة الدائمة لسلوك الإنسان وتحكيم المثل العليا في تصرفاته لردعه عن عمل الشر.

٤ – تحقيق السمو بتصرفات الإنسان وسلوكه ومن ثم الوصول إلى النفس المطمئنة الراضية المرضية إذا انصاع الإنسان للوازع الخُلُقي التقي في ذاته. (ص ٢٢٣)

وبعد هذا العرض لمعيار السلوك الخُلُقي يتضح للباحث أن المعيار عند الإمام أبي حامد الغزالي في الحكم على السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) أو المذموم (غير السوي) بأنه معيار " شرعي إسلامي " مستند على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومعتمد على العقل السليم

المتفق مع ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وهذا ما لم يجده أو يستشعره الباحث عند غالبية الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس.

كما يتضح للباحث أن الإمام أبا حامد الغزالي قد يختلف عن الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس حول مصادر معيار السلوك الخُلُقي – برغم البون الشاسع بينهما – فالمعيار عند الإمام أبي حامد الغزالي مصدره رباني من خالق البشر. أما المعايير عند الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس اجتهادية من تأليف البشر ولكنهما إجمالاً يدخلان في صميم مضمونه ؛ فإن " علة النفس "أو" النفس الأمارة أو النفس المطمئنة أو المستقيمة " أو العقل السليم " أو " القلب السليم " أو " القلب المريض " أو " الشخصية غير السوية " أو غيرها من المسميات فإن المراد منها هي حالة السواء أو الانحراف عن السلوك الخُلُقي التي يصل إليها الإنسان في معتقده وسريرته وحياته سلوكاً وتعاملاً. (العاني، ١٤١٨ هـ : ١٥٠)

وبذلك يتضح أن كثيراً من الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس، تفترق حول معيار رئيسي يضبط السلوك الخُلُقي، وهذا الذي جعلهم يفترقون، وينشأ من جراء ذلك معايير متعددة كل معيار يركز على جانب معين يضبط جزءاً أو عدة أجزاء في سلوك الإنسان

ويتفق كل من (راجح د. ت، الحاج، ١٤٠٤ هـ، كفافي، ١٤٠٦ هـ، ياسين ١٩٨٦م، الخطيب، ١٩٩٤ م) على أن مسألة التعرف على معيار محدد أو حد فاصل يتضح من خلاله السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) أو المذموم (غير السوي) ليس بالأمر اليسير بل تعتبر من المشكلات المتحدية أمام علماء الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس بكافة مجالاته. بسبب اختلاف مفهوم المعيار ونسبية معنى السلوك الخُلُقي المحمود أو المذموم (السوي أو غير السوي) بين هؤلاء العلماء من مجتمع إلى آخر، بل في المجتمع الواحد قد يوجد به أكثر من معيار، وذلك نتيجة لاختلاف ثقافة و فلسفة هؤلاء العلماء، وتنوع مشاربهم وأصول دراساتهم التعليمية، وأيضاً نتيجة لتعدد مصادر ومذاهب وأفكار تلك المجتمعات، فما قد يعتبره مجتمع ما معياراً سوياً، قد لا يعتبره مجتمعاً آخر معياراً سوياً، وكما سيتضح بعد قليل، فجميع المعايير المستخدمة فيها مواطن ضعف واضطراب،مما يجعل الاعتماد على أي منها كمقياس دقيق يحدد ما هو متوقع ومعتاد أو مناسب في موقف معين أمر غير مناسب.

ويظهر لدى الباحث أن المسألة متأرجحة عند أغلب الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس برُغم ما حققته بعض هذه المعايير من نتائج مقبولة بعض الشيء – من خلال نتائج الاختبارات و المقاييس النفسية المتعددة – إلا أن اضطراب هذه المعايير مازال واضحاً وملموساً في كثير من الدراسات فقد يظهر معيار ينسخ المعيار السابق أو يقلل من شأن المعايير الأخرى. فليس من السهل تحديد الخط الفاصل بين السلوك الخُلُقي المحمود، والسلوك الخُلُقي المذموم، إلا أن الأمر واضح للإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – بسبب وضوح حقيقة المعيار الشرعي الإسلامي العقلي من جانبه.

ومن أهم وأشهر المعايير النظرية " المجردة " والعملية " الإجرائية " التي أقترحها علماء الاتجاهات النفسية في علم النفس للتمييز بين صور السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) أو المذموم (غير السوي) ما يلي :–

## ١ – المعيار المثالي :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) هو الكامل أو ما يقرب منه، وهذا هو المعيار الذي يقصده أتباع اتجاه مدرسة التحليل النفسي حين يقولون : " ليست هناك شخصية سوية ". (راجح، د. ت : ٥٦٨)

ولعل أهم نواقص هذا المعيار تتمثل في تجاهل حقيقة أن الفرد الذي لا يحقق معيار المثالية في السلوك الخُلُقي ليس شخصاً غير عادي بالضرورة، وأن ذلك لا يعني أن لديه مشكلة بحاجة إلى علاج. (الخطيب، ١٩٩٤ م : ٤٤)

## ٢ – المعيار الإحصائي :

يقتصر هذا المعيار في علم نفس الشواذ عادة على الانحراف الظاهر في الناحية السلبية فقط، ويوجد لهذا المعيار اختبارات ومقاييس مقننة، ويعتبر المعيار الإحصائي أن السواد الأعظم من الأفراد أسوياء وأن الشواذ المنحرفين هم القلة القليلة وهذا معيار معاكس للمعيار المثالي. إذ يعتمد المعيار الإحصائي على درجة تكرار السلوك الخُلُقي وشيوعه بين الأفراد، فالسلوك

الخُلُقي الذي يصدر عن أكبر مجموعة من الأفراد يكون سلوكاً خُلُقياً سوياً، أما السلوك الخُلُقي الذي يصدر من جانب أفراد قليلين فهو سلوك خُلُقي غير سوي. (ياسين، ١٩٨٦ م : ٢٤٨) وبناء على هذا فإن استخدام المعيار الإحصائي يثير اللبس في بعض الجوانب – وبخاصة الجوانب العقلية والانفعالية والاجتماعية – بل ويعتبر مقياساً مضللاً في جوانب أخرى. لأن استخدام هذا المعيار أصلاً لتمييز السلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي) عن السلوك الخُلُقي المحمود (السوي)، وليس لتحديد ظواهر الانحراف عن المتوسط مجردة من المعنى والدلالة الاجتماعية والخُلُقية. (كفافي، ١٤٠٦هـ : ٦١)

## ٣ ـ المعيار الذاتي :

يمتد هذا المعيار إلى آراء الفيلسوف اليوناني السوفسطائي بروتاجوارس الذي أعتقد أن الإنسان مقياس كل شيء، ولذلك فإن هذا المعيار ذاتي أو شخصي، لأنه يعتمد على الأطر المرجعية للأفراد. أياً كانت تلك الأطر لأن الإطار المرجعي لأي فرد يتشابه في كثير من ملامحه مع الإطار المرجعي العام لأي جماعة. (المرجع السابق : ٦٠)

ويرى الباحث أن غالبية الاتجاهات النفسية الغربية في علم النفس الحديث تعتبره معياراً جيداً للتمييز بين السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) أو السلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي) إلا أن الأحكام التي تصدر على أساس المعيار الذاتي تتعرض في الكثير من الحالات للتشويه والتحريف خاصة في المواقف التي لا يكون فيها الفرد في موقف حيادي.

ويتفق الحاج (١٤٠٤ هـ) مع ما أورده الإمام أبو حامد الغزالي في دحض هذا المعيار " وعدم اعتباره معياراً كافياً للحكم على السلوك الخُلُقي المحمود أو المذموم منه، كما أنه لا يمكن الركون إليه لأن أحكامه ترتبط بالمصالح والأغراض والهوى التي هي من الأمور الإضافية المقترنة في شكل من أشكال السلوك ". (ص ٤٦)

ويورد الإمام – رحمه الله – مثالاً يوضح عدم صحة هذا المعيار فيقول : ((إن الأفعال تنقسم إلى ما يوافق غرض الفاعل. وإلى ما يخالفه و إلى ما لا يوافق ولا يخالف. فالموافق يسمى حسناً، والمخالف يسمى قبيحاً، والثالث يسمى عبثاً. وعلى هذا الاصطلاح إذا كان الفعل موافقاً للشخص مخالفاً لآخر فهو حسن في حق من وافقه. قبيح في حق من خالفه حتى أن قتل الملك الكبير يكون حسناً في حق أعدائه. قبيحاً في حق أوليائه)). (الغزالي، ١٤١٤ هـ، ج ١ : ١٣٥)

## ٤ ـ المعيار الاجتماعي :

يرى هذا المعيار أن السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) هو المتوافق مع المجتمع أياً كانت قيمه ومعاييره وقوانينه وأهدافه وديانته. والمعيار الاجتماعي مفهوم يشير إلى ما يقبله المجتمع من قواعد وعادات واتجاهات وقيم، وغيرها من العوامل التي تحدد السلوك الخُلُقي للأفراد ويعتبر المعيار الاجتماعي من أشهر المعايير التي تستخدم لدى بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس وبخاصة في تحديد سوية السلوك الخُلُقي، أما هذا المعيار فيظهر جلياً عند الإمام أبي حامد الغزالي من خلال مدى تمسك أفراد المجتمع بمعيار الدين الإسلامي فكل ما يقره المجتمع المسلم بأنه سوي وحسن يكون سلوكاً خلقياً محموداً وكل ما يكون سيئاً ولا يقره المجتمع المسلم يكون سلوكاً خلقياً مذموماً وفي ذلك يقول : ((.. أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى. فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه، فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديباً فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المُؤَدِبْ)). (الغزالي، د.ت، ج ٣ : ٦٥)

يتضح مما سبق أن الإمام أبا حامد الغزالي قد أعطى وزناً للمعيار الاجتماعي لكون المجتمع يضم مجموعة من العادات والتقاليد والآراء والأفكار التي تسود سلوك الأفراد الذين يتألف منهم المجتمع. إلا أن الإمام أبا حامد الغزالي ربط تلك ال الاجتماعية بالشرع الإسلامي القويم ومدى قيام أفراد المجتمع المسلم بالعمل به. وفي هذا تميز عن كثير من الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس، فالمجتمع المسلم له دور كبير في تحديد المعايير الاجتماعية، لأن تماسك المجتمع واستقراره يعتمد في جزء كبير منه على مدى ما يقبله ويقرره معيار الشرع الإسلامي القويم. (كفافي، ١٤٠٦هـ : ٦٣)

## ٥ ـ معيار نمو الفرد وصالح الجماعة :

صاحب هذا المعيار هو " جيمس كولمان "، وقد صاغه محاولاً أن يتجنب أوجه النقص في المعايير السابقة ومستفيداً من الانتقادات التي وجهت إليها. ويذهب هذا المعيار إلى أن

السلوك الخُلُقي المحمود (السوي) هو الذي يتفق مع نمو الفرد وصالح الجماعة في نفس الوقت، والسلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي) هو السلوك الذي لا يحقق أي الجانبين أو كليهما. ويقول " كولمان " : إن صياغة المعيار على هذا النحو يمدنا بإطار عمل أوسع يسمح لنا أن ننتهي إلى تعريفات أكثر تحديداً للطبيعة الإنسانية، وللسمات المميزة للإنسان ومتطلباته أو حاجاته ". (كفافي، ١٤٠٦ هـ : ٦٥)

ومن وجهة نظر هذا المعيار ينطبق وصف السلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي) على كثير من أساليب السلوك التي تعبر عن سوء التكيف مثل إدمان المخدرات، والممارسات غير الخلقية في مجالات الحياة كالتجارة أو السياسة، الانحرافات الجنسية. فكل مظاهر سوء التكيف على المستويات العضوية أو النفسية أو الاجتماعية التي يمكن أن تعوق نمو الفرد المتمثل في تحقيقه لإمكانياته، أو تعوق صالح الجماعة وتقدمها تندرج في فئة السلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي) حسب هذا المعيار.

أما من وجهة نظر الدراسة الحالية أن خير معيار لضبط شتى أشكال السلوك الخُلُقي المحمود منه أو المذموم هو معيار الشرع الإسلامي القويم الصالح لكل زمان ومكان، وأي معايير أخرى – مثل المعايير الاجتهادية السابقة – لا تستند على ميزان الشريعة الإسلامية كمرجعية ثابتة ؛ بطبيعة الحال فإنها لا تحقق أي توازن في استقرار حياة الإنسان.

وفي ضوء ما سبق عرض الباحث أهم المعايير النظرية التي تستخدم عند أغلب الاتجاهات النفسية في علم النفس الحديث للتمييز بين السلوك الخُلُقي المحمود(السوي) والسلوك الخُلُقي المذموم (غير السوي). وأتضح أنه ليس هناك معيار كامل، فما ينجح منها في موقف يفشل في آخر. بسبب بعد تلك المعايير عن معيار الهي ثابت ومطلق لجميع مستويات السواء ولا يتأتى ذلك إلا من خلال المعيار الشرعي الإسلامي.

من خلال مقارنة معيار الإمام أبي حامد الغزالي مع معايير الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة المتعددة في علم النفس.. يتضح للباحث أن أبعد تلك المعايير ؛ المعيار الإحصائي وإن كان هناك تقارب قد يظهر أحياناً في بعض المعايير السابقة مثل المعيار الذاتي و الاجتماعي و معيار نمو الفرد وصالح الجماعة.. إلا أن المعيار عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – معيار

" شرعي إسلامي " " عقلي " شرعه المولى عز وجل وبينه وفصله سيدنا محمد ﷺ، كما يتسم معيار الإمام أبي حامد الغزالي بعدة خصائص تعتبر محكات قوية تضبط حركة السلوك الخُلُقي بنوعيه المحمود (السوي) أو المذموم (غير السوي) وهذه الخصائص تنطلق أساساً من الخصائص الأصيلة للتشريع الإسلامي القويم، التي تنظر للكائن الإنساني نظرة ربانية تفهم طبيعته المزدوجة وتلبي حاجاته الدنيوية. وقد قام الباحث بشرح أهم هذه الخصائص من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي وهي : – فطرية السلوك الخُلُقي – مرونة السلوك الخُلُقي – واقعية السلوك الخُلُقي – مثالية السلوك الخُلُقي – وسطية السلوك الخُلُقي – مراعاة الفروق الفردية في السلوك الخُلُقي.

ويوضح الشكل رقم (٥) معايير السلوك الخُلُقي المحمود والمذموم كما أشار إليها الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – في أغلب كتاباته.

| السلوك الخُلُقي المحمود (الفضائل) | السلوك الخُلُقي المذموم (الرذائل) |
|---|---|
| الحكمة، العفة، الشجاعة، العدل | الشح، البخل |
| الصدق، الإخلاص | الحسد |
| الرضا، الحلم، الوقار | إفشاء السر |
| كظم الغيظ " الصبر " | النميمة |
| الحياء، كثرة الصلاح، البر | الغيبة |
| العمل | حب الدنيا، الجاه |
| قلة أذى الغير | الشره |
| الثناء | الحقد |
| الشكر | الكبر |
| الرفق | العجب |
| حُسْن الإنصات | الرياء |
| التماس المعذرة | شدة الغضب |
| احتمال الأذى | حب المال |

يستنتج الباحث في ضوء المعطيات السابقة أن الإمام أبا حامد الغزالي – رحمه الله – قد حدد معايير السلوك الخُلُقي وفق معيار شرعي إلهي يتميز بالثبات والتكامل، والشمول، والدقة، ويحـــدد بوضوح كل ما ينبغي أن يكون سلوكاً خُلُقياً محموداً أو مذموماً، حيث زاد الإمام أبو حـــامد الغـــزالي عـــلى الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس بذكر مصدر الشرع الإســـلامي " الوحي " وجعله ضابطاً وهادياً للعقل، وأوضح أهمية الاعتدال الخُلُقي، وتوظيف الغرائـــز الفطـــرية، والسلامة النفسية، والتقوى النفسية كجانب هام في تحقيق معيار الشرع الإســـلامي، بينما أهملت الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس ذلك كثيراً واهتمت بالنتائج التجريبية والاختبارات كمصدر حسي وبذلك اعتمدت كثيراً في ضبط السلوك الخُلُقي على معايير نسبية متعددة كالمعيار المثالي، والإحصائي، والذاتي، والاجتماعي، ومعيار نمو الفرد وصـــالح الجماعـــة، كما التقت وجهتا نظر الإمام أبي حامد الغزالي والاتجاهات النفسية الغربية الحديـــثة حـــول أهمـــية المعيار الذاتي، والاجتماعي، ومعيار نمو الفرد وصالح الجماعة كموجه للسلوك الخُلُقي.

## سُبُل اكتساب السلوك الخُلُقي

تنوعت سبل اكتساب السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي وذلك بحسب طبيعة – حالة – السلوك الخُلُقي سواء المحمود منه أو المذموم. حيث عرض لكل مرض من الأمراض (النفسية، القلبية، العقلية) التي تصيب الذات الإنسانية وكيفية اكتساب السلوك الخُلُقي المحمود والتحلي به، وطرق التخلي عن السلوك الخُلُقي المذموم، كما بين حد السلوك الخُلُقي المحمود منه والمذموم، وذلك من خلال فهم أعماق الذات الإنسانية وتربية الإرادة الخيرة – كثمرة للتفاعل بين الأساس الإيماني وبين ال النفسية والقلبية والعقلية وتقوية جانبي السلوك الخُلُقي – الباطني والظاهري – ؛ كل ذلك عن طريق مجاهدة تقلبات الذات الإنسانية لتستقيم الحالة الكلية للإنسان على السلوك الخُلُقي القويم.

أوضح الإمام أبو حامد الغزالي منشأ ظهور السلوك الخُلُقي المحمود أو المذموم منه فقد يظهر نتيجة اعتدال أو اضطراب جملة من الأصول النفسية في أعماق الذات الإنسانية فقال : ((اعلم أن جملة الأخلاق المحمودة والمذمومة تصدر عن ثلاثة صفات هن كالأمهات : الصفة

الأولى : العقل وقوته واعتداله بالعلم والحكمة وحقيقة الحكمة معرفة الحق من الباطل في الاعتقادات والصدق من الكذب في الأقوال والحسن من القبيح في الأفعال، الصفة الثانية : قوة الغضب الدافعة للضرر وهي خلقت لذلك فكمالها واعتدالها أن تكون منقادة للحكمة إن أشارت الحكمة لها بالاسترسال استرسلت أو بالانقباض انقبضت كالكلب المعلم. الصفة الثالثة : قوة الشهوة الجالبة للنفع وهي خلقت أيضاً مطيعة للعقل فحسنها واعتدالها في إذعانها للحكمة)). (الغزالي، ١٤١٤ هـ : ٧٥)

كما أكد – رحمه الله – قبل أن تتم مرحلة العلاج ضرورة أن يتم التعرف على كل نوع من أنواع السلوك الخُلُقي المذموم فجميعها متفاعلة ومتداخلة مع بعضها البعض وفي ذلك قال : ((اعلم أن الأخلاق المذمومة كثيرة، ولكن ترجع أصولها إلى ما ذكرناه ولا يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تتزكى عن جميعها، ولو تركت واحداً منها غالباً عليك، فذلك يدعوك إلى البقية، لأن بعض هذه يرتبط بالبعض، ويتقاضى بعض الأخلاق الذميمة بعضاً، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم. والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الأمراض، بل إنما تنال بالصحة المطلقة، كما أن الحُسن لا يحصل بحسن بعض الأعضاء ما لم يحسن جميع الأطراف، والنجاة في حُسن الخُلُق)). (الغزالي، ١٤٠٠ هـ : ١٣٤)

كما أوضح – رحمه الله – أن السلوك الخُلُقي المحمود يمكن اكتسابه من خلال سببين فيقول :

أ – بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخُلُق قد كفى سلطان الشهوة والغضب، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالماً بغير تعليم ومؤدباً بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحي وزكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خُلِقَ صادق اللهجة سخياً جرياً، وربما يخلق بخلافه، فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم.

ب – اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلُق المطلوب. من أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود بطريقة أن يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل الحال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى

يصير ذلك خلقاً له مطبعاً ويسير عليه فيصير به جواداً، وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع فقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ويتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعاً فيتيسر عليه، وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق. (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٥٨)

كما أوضح الإمام أبو حامد الغزالي السبل المساعدة لاكتساب السلوك الخُلُقي المحمود وتعديل وتغيير السلوك الخُلُقي المذموم، ولعل الباحث يقتصر على أبرزها لتداخل بعضها البعض وهي :-

## ١ ــ عبادة الله عز وجل وطاعته :

جعل الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – عبادة الله عز وجل وطاعته من أجل علامات السلوك الخُلُقي القويم، وشرفاً كبيراً للإنسان للقرب من الله عز وجل، وعاملاً مهما لاطمئنان الذات حيث تعمل عبادة الله وطاعته على تخلية القلب من كل ما سوى الحق سبحانه وتعالى.

قال – رحمه الله – : ((أقبل على أداء الفرائض فإن سلم لك فرضك فأنت أنت، واطلب بالنوافل حفظ الفرائض وكلما ازددت عبادة فازدد شكراً وخوفاً)). (الغزالي، د. ت : ٥٥)

ويؤكد – رحمه الله – دائماً على أهمية "أخلاق القرآن الكريم التعبدية " من الصلاة، و الزكاة، والصيام، والحج. وأثر هذه الفرائض في استقرار السلوك الخُلُقي المحمود، وتهذيب النفس من الشوائب الدالة على السلوك الخُلُقي المذموم. وقد فصل في ذلك القول الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – وبخاصة في جانب الفرائض لما له من علاقة وطيدة وثقل في ميزان الإنسان المسلم فهي من أقوى العوامل التي تساعد على ترسيخ الأخلاق السلوكية القويمة وهي:

أ – الصلاة :

قال الله تعالى : ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]. إن من أهم ما يزكي النفس ويهذب الأخلاق : الصلاة التي هي صلة بين

العبد وخالقه، إذ تجعل الإنسان متصلاً بقلبه وجوارحه بالله تعالى لا يكاد ينقضي وقت من أوقاتها حتى يأتي وقت آخر، فيعيده إلى تعلقه الروحي بربه سبحانه وتعالى، فلا تتحقق معاني العبودية الصادقة لله سبحانه وتعالى إلا إذا اقترنت بصدق التوجه إليه والإخلاص له سبحانه وتعالى. (الحداد، ١٩٩٦ م : ٢٤٥) و (كرزون، ١٤١٨ هـ : ٢٢٢)

يقول الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – : ((فإن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات، وغرة الطاعات)). (الغزالي، د. ت، ج ١ : ١٤٥)

ويتفق الباحث مع رأي الإمام أبي حامد الغزالي بأن الصلاة أساس الخير وثمرة الصلاح والهداية والقبول عند الخالق عز وجل فهي نور تضيء لصاحبها طريق الهداية وتبعده عن المعاصي، وهي نور في قلب المؤمن بما يجد من حلاوة الإيمان ولذة قربه من ربه سبحانه وتعالى، وهي نور بما تمنحه للنفس من تزكية وطمأنينة وراحة وبما تمدها من أمن وسكينة.

ب – الزكاة :

قال الله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل: ١٧،١٨]. تعد الزكاة وسيلة كبرى من وسائل تطهير النفس الإنسانية من السلوك الخُلُقي المذموم وسيئ الأعمال، لأن من أمهات رذائل السلوك الخُلُقي التي تنشأ منها أخلاق سيئة كثيرة منها (حب المال حباً جماً) إذ ينشأ من ذلك الشح والبخل والتقتير والسرقة والنهب وغير ذلك من القبائح المادية، وهذه الأخلاق يمقتها الإسلام لأنها تخرج المسلم عن نقاء إسلامه وإيمانه. وبذلك استحقت هذه العبادة الجليلة أن يشق لها اسم من التزكية فتسمى زكاة. (الحداد،١٩٩٦م : ٢٧٨) و (كرزون، ١٤١٨هـ :٢٤١)

كما أوضح الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – أهمية الزكاة ودورها في اكتساب السلوك الخُلُقي المحمود فقال : ((فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام)). (الغزالي، د. ت، ج ١ : ٢٠٨)

كما يقول – رحمه الله – : ((وعن كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله، فزكاة القلب التفكر في عظمته وحكمته وقدرته وحجته ونعمته ورحمته، وزكاة العين النظر بالعبرة والغض

عن الشهوة، وزكاة الأذن الاستماع إلى ما فيه نجاتك، وزكاة اللسان النطق بما يقربك إليه، وزكاة اليد القبض عن الشر والبسط إلى الخير، وزكاة الرجل السعي إلى ما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك)). (منهاج العارفين، د. ت : ٥٣)

ج – الصوم :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]. الصوم من الشرائع الرامية إلى تزكية النفس ومجاهدتها وتقوية الإرادة الذاتية وتدريبها على مكارم الأخلاق، من الصبر و القناعة والزهد والأمانة، والبعد عن رذائلها من الجشع والخيانة والسباب والفواحش التي تنافي الصوم. وتدل الآية العظيمة على أن الصوم " يورث التقوى" لما فيه من انكسار الشهوة، وانقماع الهوى، فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش وهون لذات الدنيا ورياستها ويكسر شهوة البطن والفرج وذلك جامع لأسباب التقوى.(الحداد، ١٩٩٦م : ٢٩٦)

قال الإمام أبو حامد الغزالي : ((فإذا صمت فانوِ بصومك كف النفس عن الشهوات، فإن الصوم فناء مراد النفس وفيه صفاء القلب وضمارة الجوارح والتنبيه على الإحسان إلى الفقراء والالتجاء إلى الله والشكر على ما تفضل به من النعم وتخفيف الحساب، ومنة الله في توفيقك للصوم أعظم من أن تقوم بشكرها ومن صومك أن لا تطلب عوضاً)). (الغزالي، د. ت : ٥٣)

د – الحج :

الحج من أعظم العبادات التي ترمي إلى تزكية النفس وتهذيب الأخلاق، وذلك لما فيه من أحكام وآداب، ورياضات عملية روحية ونفسية، تجعل النفس ترتاض على مكارم الأخلاق، وتبعد عن رذائلها التي حُظرت فيه على وجه الخصوص، فهو كسائر العبادات التي جعلها الله تعالى أساساً للتربية وغرس الأخلاق الذاتية والاجتماعية ؛ السلوكية والتعاملية. (الحداد، ١٩٩٦ م : ٣١٦)

قال الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – : ((فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه، عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين ...)). (الغزالي، د.ت، ج١ : ٢٣٩).

كما أوضح – رحمه الله – في موضع آخر آداب الحج وعلاقته في تكوين السلوك الخُلقي القويم. فقال في أحدها : ((أن يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول في أمر الدنيا، بل يقصر لسانه بعد مهمات حاجاته على الفكر وتلاوة القرآن)). (الغزالي، ١٤٠٠هـ: ٣٣)

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. تحث الآية المباركة على مدى ارتباط الحج بالأخلاق الجميلة والتمسك بالآداب الحسنة والاحتراز عما يحبط ثواب الطاعات، وذلك بالصبر والإخلاص " والاستعلاء " على شهوات الجسد غير الطبيعية، وانفاق المال فيما يحبه الله، والتخلص من الكبر والعجب والغرور والنفور التام عن مساوئ الأخلاق من رفث وفسوق وجدال ومراء

ويرى الباحث أن الأعمال الصالحة التي تثمر عنها شتى أنواع السلوك الخُلقي القويم يعتبر من أكمل العبادات إذا كانت النية والقصد خالصة لوجه الله الكريم. فعبادة الله وطاعته من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – لا تتحقق إلا إذا أخلص الإنسان نيته ومقاصده وصفا سريرته لله الواحد الأحد. وفي ذلك قال : ((وأعلم أن ههنا أصلاً أصيلاً وهو أن العبادة شطران : شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب : فعل الطاعات، والاجتناب : الامتناع عن المعاصي والسيئات، وهو التقوى، وأن شطر الاجتناب على كل حال أسلم وأصلح وأفضل وأشرف للعبد من شطر الاكتساب، ولذلك اشتغل المبتدئون من أهل العبادة، الذين هم في أول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب، كل همتهم أن يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ونحو ذلك، ويشتغل المنتهون أولوا البصائر من أهل العبادة بشطر الاجتناب، إنما

همتهم أن يحفظوا قلوبهم عن الميل إلى غير الله تعالى، وبطونهم عن الفضول، وألسنتهم عن اللغو، وأعينهم عن النظر إلى ما لا يعنيهم)). (الغزالي، ١٤١٧هـ :٢٢٤)

وهذه الوسيلة لم يستشعرها الباحث في جميع الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة، لأنها تغيب عنهم، ولأنهم غير مؤمنين بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولا، بينما هذا الأمر والهدف واضح تمام الوضوح للإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – في جميع كتاباته وتوجهاته.

## ٢ ـ المجاهدة النفسية :

إن عزم الإنسان الصادق على المضي في السلوك الخُلُقي المحمود وترك السلوك الخُلُقي المذموم لا يتحقق في سهولة ويسر بمجرد التفكير والقصد. إنما يسبق بكفاح طويل مرير " وبالتعبئة العامة لدوافع الإيمان في النفس " والتأهب لمدافعة رغبات الذات الإنسانية وشهواتها الدَنيا والتي يحرص الشيطان الرجيم على إثارتها بين لحظة وأخرى.

والمجاهدة النفسية شاقة في بداية الأمر ذلك أن الذات الإنسانية تنفتح أمامها حاجات متعددة، كما تكثر وتتنوع الرغبات التي لم يكن لها وجود في الجانب الشعوري والوجداني من الذات، فمثلاً النفس بطبيعتها لا يشبع جوعها ولا يروي ظمؤها إذا ما أُطلق لها عنان الرغبات والشهوات، فإنها لا تقف منها عند حد معين، وهذا ما يجعل أمر المجاهدة شاقاً، ويستصعبه من تستلذ له الشهوات وتسيطر عليه. (الزعبلاوي، ١٤١٤ هـ : ٣٤٠)

ويصف الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – حالة النفس ومدى احتياجها للمجاهدة وذلك لكثرة تقلب أحوالها ((وأما النفس : فحسبك ما تشاهد من حالاتها ورداءة إرادتها وسوء اختيارها، فهي في حال الشهوة بهيمة، وفي حال الغضب سبع، وفي حال المصيبة تراها طفلاً صغيراً، وفي حال النعمة تراها فرعوناً، وفي حال الجوع تراها مجنوناً، وفي حال الشبع تراها مختالاً، إن أشبعتها بطرت ومرحت، وإن جوعتها صاحت وجزعت)). (الغزالي، ١٤١٧ هـ : ٢٢٢)

كما ينبه الإمام – رحمه الله – الإنسان الصادق في موضع آخر من شر هذه النفس فقال: ((فتنبه رحمك الله من لهذه الخداعة الأمارة بالسوء، ووطن على مخالفتها قلبك بكل حال تصب وتسلم إن شاء الله تعالى)). (المرجع السابق : ٢٢٣)

وبذلك يتبين مما سبق أن المجاهدة – النفسية – شاقة على النفس، وأن هذه المشقة تزداد كلما ازدادت عداوة النفس لصاحبها وتحكم أهواء العقل فيها، ولذلك كان لزاماً على المرء أن يتغلب على نفسه وتقلباتها من خلال المجاهدة النفسية حتى تستقيم على السلوك الخُلُقي المحمود وإلزامها بشرع الله القويم وتطهيرها من جميع الأخلاق الرديئة.

ثم أوضح – رحمه الله – أهمية وسيلة المجاهدة النفسية باعتبارها من أهم وسائل إصلاح وتعديل السلوك الخُلُقي المحمود منه أو المذموم – المكتسب – فقال : ((طريق إصلاح هذه الأخلاق كلها بالمجاهدة والرياضة، ومعنى المجاهدة أن يكلف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها فتعمل بنقيض موجبها. فإن غلب البخل لا تزال تتكلف البذل بالمجهود، وتداوم عليه مرة بعد أخرى حتى يسهل عليك البذل في محله. فإن غلب عليك التبذير فلا تزال تتكلف الإمساك حتى يصير عادة فيسهل عليك الإمساك في محله. وكذلك في خُلُق الكبر وسائر الأخلاق)). (الغزالي، ١٤٠٠ هـ : ١٣٧)

كما يضرب – رحمه الله – في موضع آخر مثالاً آخر ((والأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمرح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً وعقلاً، ولا خلاص عن الغضب مع بقاء الأسباب، فلا بد من إزالة أسبابها بأضدادها حتى يُقهر الغضب ويرد إلى حال الاعتدال وهذا شأن المداواة حساً وعقلاً)). (الغزالي، ١٤٠١ هـ : ٨٣)

ومما سبق يتضح أن مجاهدة النفس للتحلي بالسلوك الخُلُقي المحمود والتخلي عن السلوك الخُلُقي المذموم " يعني التمسك الفعلي بكل سجية حميدة من صدق، وحياء، وألفة، وإيثار، وحب للآخرين، وحب لما يصلح حياتهم ويعود عليهم بالخير، وإذا ضبط المؤمن نفسه على هذه الخصال وما شابهها وكان قصده من ذلك مرضاة الله عز وجل سعد أولاً وسعد به مجتمعه ". (المالكي، ١٤١٥ هـ : ١١٠)

كما تعني المجاهدة النفسية الوقوف بالذات الإنسانية عند حد الاعتدال النفسي لتتوافق قولاً وعملاً مع السلوك الخُلُقي المحمود ونهيها عن الهوى وفق معيار الشرع الإسلامي القويم وهذه المرحلة هي ما عناه الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – بتكلف الفعل الذي يراد تحويله إلى عادة ثابتة للإنسان ولا يتحقق ذلك إلا بالصبر والمصابرة.

## ٣ – الصبر والمصابرة :

أبرز الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – أهمية الصبر وجعله متطلباً لنيل السلوك الخُلُقي المحمود، وأساساً لاستبعاد السلوك الخُلُقي المذموم ولا يكون ذلك إلا إذا سيطر الإنسان على ميوله المتطرفة وضبط سلوكه الخُلُقي المذموم، وصبر على طول مجاهداته.

قال الإمام : ((اعلم أن الحاجة إلى الصبر عامة في جميع الأحوال، لأن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : فإنه إما أن يوافق هواه أو يخالفه إلى الصبر معها، فإنه إن لم يضبط نفسه طغى واسترسل في التنعم واتباع الهوى، ونسى المبتدى والمنتهى)). (الغزالي، ١٤٠٠ هـ : ١٦٣)

ثم يوضح – رحمه الله – أن حقيقة الصبر يعني تغلب بواعث الدين – الرحمانية – على بواعث الهوى – الشيطانية – إذ لكل منهما دلالة واضحة في ظهور السلوك الخُلُقي المحمود أو المذموم. وفي ذلك قال : ((حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابل باعث الهوى، وهو من خاصية الآدمي الذي هو كالمركب من شعب ملكية وبهيمية، ... فإن ثبت باعث الدين في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر، إذ لا يتصور الصبر إلا عند تعارض الباعثين على التناقض)). (المرجع السابق : ١٦١)

كذلك أوضح – رحمه الله – درجات الصبر فقال: ((الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته : الدرجة العليا : أن تقمع داعية الهوى بالكلية، حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة، ويتوصل إليها بدوام الصبر وطول المجاهدة. الدرجة السفلى : أن تقوى داعية الهوى وتسقط منازعة باعث الدين، ويغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان، الدرجة الوسطى : أن لا يفتر على المحاربة، ولكن يكون الحرب بينهما سجالاً، تارة له اليد. وتارة عليه اليد وهذا من المجاهدين)).(الغزالي، ٤٠٠هـ : ١٦٢)

ويرى كرزون (١٤١٨ هـ) " أن الصبر زاد المجاهدة، والدافع لاستمرارها وتقويتها، ومن عُدم الصبر لم يفلح في مجاهدة نفسه، وكلما زادت تعلق النفس بحظوظها وأهوائها ازدادت حاجة العبد إلى الصبر في مجاهدتها والمصابرة على عبادها حتى يلزمها بطاعة الله سبحانه وتعالى". (ص ٣٧٨). ويقول نجاتي (١٤١٣ هـ) : ((بأن الصبر والمثابرة مرتبطان بقوة الإرادة، فالشخص الصابر قوي الإرادة لا تضعف عزيمته، ولا تثبط همته مهما لقي من مصاعب وعقبات وبقوة الإرادة يتمكن الإنسان من إنجاز الأعمال العظيمة، وتحقيق الأهداف العالية)) (ص ٢٩٩)

وقد أكد العيسوي (١٩٨٦ م : ١٩٤) على مدى الأثر النفسي لسمة الصبر بوجه عام في السلوك فقال : ((والصبر يفيد في تربية النفس وتقوية الإرادة وصقل الشخصية، وينمي قدرة الإنسان على الجلد والتحمل وتقبل نوائب الدهر وصعاب الحياة، فهو مما يستعين به الإنسان لقوله تعالى :﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥].

إلا أن الباحث يرى أن النفس غالباً لا تنقاد للمجاهدة بسهولة، ولا بد من ترويضها بذلك الجهد المتواصل من الصبر والمصابرة والثبات لكي تلين وتخشع وتتحول شيئاً فشيئاً من نفس أمارة إلى نفس لوامة تكون عوناً لصحابها على طريق الخير والسعادة بعد أن كانت عدوة له. إلى أن تصل إلى مرحلة النفس المطمئنة فتستقر وتطمئن وتثبت على الاستقرار. كما أن مقام الصبر لا يصل الإنسان إليه إلا بعد دوام العبادة لله تعالى مع المجاهدة المستمرة والصبر والمصابرة حتى تتزكى النفس وتسمو، كما يمكن أن يتغلب باعث الهوى عندما تكون عبادة الله غير كاملة، والمجاهدة النفسية متراخية أو ضعيفة، وبالتالي عدم استطاعة الصبر فتكون الغلبة لداعي الهوى، حيث الاستسلام للشيطان وجنوده. وقد أشارت دراسات بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس إلى مضامين معنى الصبر منها : " القدرة على ضبط الذات وتحمل المسئولية " و" القدرة على مواجهة الصراعات والإحباط " و" الأزمات ". (الأحمد، ١٤١٧ هـ : ٧٢)

من خلال ذلك يتبين للباحث تأكيد الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة للصبر ، والقدرة على تحمل الصراعات والاحباطات وأثرها في تحقيق الاعتدال النفسي. إلا أن أغلب الاتجاهات النفسية اهتمت بنوع واحد من الصبر وعلقته بتحقيق الراحة النفسية والمصلحة الدنيوية فقط، بينما بين الإمام أبو حامد الغزالي مدلول الصبر بمعنى أوسع كالصبر على الطاعات، والمعاصي، والصبر على الأذى و المصائب، بغرض ابتغاء مرضاة الله تعالى في الدنيا والآخرة. وهذا ما لم يستشعره الباحث في توجهات الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس.

## ٤ ـ الرياضة والمواظبة الفعلية :

قال الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – : ((الرياضة : فهو تمرين النفس على الخير ونقلها من الخفيف إلى الثقيل باللطف والتدرج إلى أن يرتقي إلى حالة يصير ما كان عنده من الأحوال والأعمال شاقاً سهلاً هيناً)). (الغزالي، ١٤١٤ هـ : ٧٩)

والرياضة من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي تعني رياضة النفس وتدرجها على مواظبتها و تكرار السلوك (الخُلُقي المحمود) حتى يصير عادة ثابتة منطبعة في النفس تجد لذتها وراحتها فيه، وتنفر من السلوك الخُلُقي المذموم بكافة أشكاله وأغراضه.

والمواظبة الفعلية – الممارسة المستمرة – هو ما عناه الإمام أبو حامد الغزالي بقوله : ((لا يكن في نيل السعادة الموعودة على حسن الخُلُق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر. وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ... وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٥٨)

وقال في موضع آخر : ((.. فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة)). (المرجع السابق : ٥٩)

ثم يوضح الإمام – رحمه الله – غاية تلك الرياضات النفسية وأثر المواظبة الفعلية عليها ((وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون

الذي يبذله كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها،ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٥٨)

ويتضح للباحث مما سبق أن الإمام أبا حامد الغزالي يؤكد على دور العادة كميل نفسي قوي يساعد في اكتساب السلوك الخُلُقي.

وهذا ما أشار إليه راجح (د. ت) " بأن العادة استعداد مكتسب دائم لأداء عمل من الأعمال – حركياً كان أم عقلياً أم خلقياً – بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد في المجهود ... أما عادة حكم العادة أو سلطانها فهو ميل قوي إلى تكرار السلوك المألوف والتشبث به، ومقاومة السلوك الجديد أو الغريب ". (ص ١٢٢)

ويرى الباحث أن عملية الرياضة والمواظبة الفعلية تتطلب من المرء الإرادة الخيرة الجازمة في التخلي عن السلوك الخُلُقي المذموم، والتحلي بالسلوك الخُلُقي المحمود، ولا يتأتى ذلك إلا بممارسة جميع الأخلاق الحسنة دائماً بطرق مستمرة، واستبعاد كل الأخلاق السيئة بصفة متتابعة، وبصورة تقويمية من خلال المراقبة النفسية الذاتية لأحوال النفس الانسانية وتقلباتها.

## ٥ ــ المراقبة النفسية :

يركز الإمام أبو حامد الغزالي على أسلوب المراقبة النفسية للنوازع الداخلية المؤثرة في السلوك، وذلك لبناء "الوازع الداخلي" لما للتوافق أو الاضطراب النفسي من ضمانة حقيقية للتخلق إما بالسلوك الخُلُقي المحمود، أو التخلق بالسلوك الخُلُقي المذموم. ولذا يهدف الإمام إلى إيجاد الذات المرتبطة بالله عز وجل قلباً وقالباً لتبقى دائماً في انضباط وتوازن داخلي وخارجي ؛ بمعنى ضبط جميع قوى الذات الإنسانية عند حد الاعتدال النفسي. فالانضباط أساس الارتباط الدائم بالحق سبحانه وتعالى.

قال الإمام – رحمه الله – : ((اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، ممن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره. يقال إنه يراقب فلاناً ويراعي جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه)). (الغزالي، د.ت، ج ٤ : ٣٩٨)

ثم أوضح – رحمه الله – أهمية ملاحظة ومراقبة السلوك الباطني وأثره في المظهر الخارجي للذات فقال – رحمه الله – : ((ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى، إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك، من حين تصبح إلى حين تمسي، فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك، ومشرف على ظاهرك وباطنك، ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك، وسائر سكناتك وحركاتك، وأنك في مخالطتك وخلواتك مترددة بين يديه)). (الغزالي، ١٤١٨ هـ : ٢١).

ومن وجهة نظر الباحث أن وسيلة المراقبة النفسية محفوظة حقوقها للإمام أبي حامد الغزالي وبخاصة أن المراقبة النفسية تتضمن هدفاً أسمى وهو مراقبة الحق سبحانه وتعالى في السر والعلن واستشعار وجوده واطلاعه سبحانه وتعالى على كل الأمور الخافية والظاهرة في الإنسان. وهذا ما لم يلاحظه الباحث في كثير من الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس.. رغم ذلك.. إلا أن مفهوم مراقبة النفس أخذ في الآونة الأخيرة اهتمام المنظرين في علم النفس الحديث حيث ارتبط كثيراً في الدراسات النفسية بمفهوم الذات من حيث أن كلاً منها متغير من متغيرات الشخصية الموجهة لضبط السلوك.

وقد أشارت عايدة سلام (١٤١٠ هـ) إلى أهم الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة التي اتجهت إلى دراسة مراقبة الذات وأهمها : دراسة " مارك سنايدر " و " إليوت " و " ليبا " و " مونسون " و " سوان ". حيث أظهرت نتائج تلك الدراسات : " أن الأفراد الذين يتميزون بمراقبة ذواتهم يستطيعون العمل على ضبط سلوكهم وطريقة عرضهم لذواتهم بإظهار التأثر اللفظي وغير اللفظي، كما أظهرت النتائج أن عمليات مراقبة الذات توجه وتؤثر بطريقة هادفة في الحياة، فالأفراد المرتفعون في مراقبة الذات يتميزون بأنهم واعون ويقظون دائماً لمعلومات

المقارنة الاجتماعية التي يمكن أن تعمل كموجه ومرشد لهم أكثر من هؤلاء المنخفضين في مراقبة الذات. (ص ٩١)

ومن وجهة نظر الباحث أن مراقبة الذات في الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة تهتم في المقام الأول بمراقبة الذات للذات والمجتمع فقط وهذا الغرض " مادي نفعي " يتطلب من الفرد أن يكون أكثر توافقاً مع نفسه ومع متطلبات المجتمع الذي يعيش فيه أياً كانت تلك المتطلبات. إلا أن الإمام أبا حامد الغزالي قد تميز عن تلك الدراسات بمراقبة الإنسان للحق سبحانه وتعالى في تصرفاته وأفعاله وجميع سلوكه. أي أن يراقب الإنسان نفسه عملاً وقولاً واعتقاداً ومعرفة نتائج تلك المراقبة وذلك بتحري أن يكون أقرب إلى السلوك الخُلُقي المحمود – بسبب تكوين الهيئة الخُلُقية النفسية – لا أن يراقب الخَلْقْ ومدى تكيفهم مع الوسائط البيئية المختلفة.

## ٦ – القدوة الحسنة :

للقدوة الحسنة أثر فعال في توجيه السلوك الخُلُقي توجيهاً مباشراً، والسلوك الخُلُقي المحمود لا يتحقق فعلياً إذا لم تدعمه أسوة وقدوة حسنة واضحة السلوك تمكن المرء من استحضار النموذج المراد كقدوة حسنة في كل الأوقات. حيث تتطلب القدوة الحسنة الثبات والاستمرار على السلوك الخُلُقي المحمود خلال " سيرة الحياة ".

ولما كانت القدوة الحسنة أساس الفضيلة ومكارم الأخلاق فقد استشهد الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – كثيراً بأخلاق الأنبياء – عليهم السلام، وبخاصة خُلُق سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ حيث اعتبره أنموذجاً أصيلاً يُقتدى به ﷺ. " فقد جعل الإسلام القدوة الدائمة لجميع المربين تتمثل في شخصية الرسول ﷺفهو قدوة متجددة على مر الأجيال " في كل زمان ومكان لنقتبس ونتعلم من نوره ﷺ أرقى أنواع السلوك الخُلُقي القويم. وفي ذلك قال الإمام – رحمه الله – : ((ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع – الحكمة، الشجاعة، العفة، العدل – إلا رسول الله ﷺ، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه. فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ، وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال)). (الغزالي، د. ت، ج٣ : ٥٥)

كما قال – رحمه الله – : ((فالخُلق الحسن صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين)). (المرجع السابق : ٤٩)

ويستشهد الباحث بالقرآن الكريم الذي يُوجب على المسلمين اتخاذ المصطفى ﷺ خير قدوة ونموذجاً حسناً للإقتداء به ﷺ في كل أمور الحياة.

يقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]

و من وجهة نظر الباحث أن عملية التقليد والاقتداء تعني استحضار الشخصية المثالية الصالحة في أعماق الإنسان بمعنى أن يتطابق جانب الخير والصلاح لشخصية الإنسان، مع كل الجوانب الحسنة المستقرة في الشخصية المثالية المقابلة دائماً حتى يتثبت جانب الخير بالمداومة والاستمرار في كل أجزاء الذات وتستيقظ أغلب الخبرات العميقة الأصيلة التي أودعها الخالق عز وجل في الكائن الإنساني. وخير مثال لذلك استحضار شخصية المصطفى ﷺ في كل الأوقات وجعلها مقياساً لجميع الأفعال والتصرفات عن طريق قراءة سيرته العطرة والعمل بها، وتذوق أخلاقه الكريمة وشمائله الفعلية العطرة التي يتصف بها وجعلها سلوكاً عملياً يلتزم به في كل المواقف اليومية.

وقد أكد الحسني (د. ت) اهتمام المصلحين والمجددين بسيرة سيد المرسلين ﷺ كقدوة حسنة، ومادة لتجديد البعث الجديد في حياة المسلمين وإيقاظ هممهم، والهاب قلوبهم بجذوة الإيمان والحماسة الدينية، وليس لمجرد الوقوف على الوقائع التاريخية أو سرد القصص والأحداث، بل لمشاهدة الحقيقة الإسلامية في مجموعها العملي التطبيقي مجسدة كاملة في مثلها الأعلى سيدنا محمد ﷺ وصحبه الكرام. (ص٦)

كما يستشهد الباحث بحديث نبوي شريف ورد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : " **يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه.. جاء**

**الصوت بما فيه قال أبي ، قلت ، يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال ، ما شئت، قال ، قلت ، الربع، قال ، ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت ، النصف ؟ قال ما شئت، فإن زدت فهو خير لك. قال قلت ، فالثلثين ؟ قال، ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت ، أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال ، إذاً تُكفى همك ويغفر لك ذنبك "**.(الترمذي، د. ت، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٢٣، ج ٤، ٢٤٥٧: ٥٤٩)

ويظهر من الحديث الشريف أن الاقتداء بالنموذج السلوكي الحسن لا يتحقق إلا إذا وضع الإنسان المريد للسلوك الخُلُقي القويم نصب عينيه السلوك الفعلي للشخصية الحسنة كنموذج حي وحسبنا في ذلك كله أخلاق سيدنا محمد ﷺ.

وعُرِفَ أسلوب القدوة أو النموذج عند أصحاب الاتجاه السلوكي بالمعالجة السلوكية، في الآونة الأخيرة باسم " التعلم بالتقليد واستخدام النماذج السلوكية " واستخدم كمفهوم تطبيقي باسم " النمذجة " وخاصة بعد أن وصفها "ألبرت باندورا" في كتب وأبحاث أخرى ولا سيما في كتابه "قوانين تعديل السلوك". حيث أوضح باندورا ١٩٦٩ م أهمية " أسلوب النمذجة " فقال : ((إن باستطاعة الفرد اكتساب الأنماط السلوكية المعقدة من خلال ملاحظة أداء النماذج المناسبة ... ويمكن المحافظة على استمرارية أداء الفرد للاستجابات المتعلمة وتنظيمها وضبطها اجتماعياً من خلال الأفعال التي تصدر عن النماذج المؤثرة)). (الخطيب، ١٩٩٤م : ١٧٠)

كما أشار الشناوي (١٤٠٧ هـ : ١٤٨) و العبد الرحيم (١٤١٨ هـ : ٨٢)

" إلى أن المعالجة السلوكية تعتمد على تعديل الاستجابات من خلال تطبيق مبادئ التعلم الموضوعية تجريبياً، وأسلوب التعلم بواسطة النموذج يقوم على أن الشخص يتبنى سلوك الشخص الذي يعجب به أو يحترمه ويتخذ من هذا السلوك نموذجاً يحتذى به ". و أوضح الخطيب (١٩٩٤ م : ١٧١) " بأن الدراسات العلمية قد أوضحت أن نتائج ملاحظة الفرد للنماذج السلوكية المختلفة قد تأخذ أحد الشكلين الآتيين :

١ – قد يكتسب الملاحظ سلوكيات جديدة لم تكن موجودة لديه من قبل.

٢ – قد تؤدي الملاحظة إلى تقليل أو زيادة السلوكيات الموجودة أصلاً لدى الملاحظ

وترى بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس أن السلوك الخُلُقي نمط من أنماط السلوك المكتسب لذا فإن استخدام المحاكاة أو التقليد من أفضل الوسائل لإكسابه. (السليماني وبار، ١٤١٦ هـ : ١١٧)

وعلى الرغم من أن مفهوم القدوة الحسنة يختلف عن مفهوم النمذجة في المجتمعات الغربية إلا أنه قد يكون هناك بعض الشبه بين ما أكده الإمام أبو حامد الغزالي وبين بعض الاتجاهات النفسية الغربية السلوكية في علم النفس الحديث حول أهمية استخدام هذا الأسلوب (القدوة أو النمذجة) وتأثيره في سلوك الإنسان بصفة عامة والسلوك الخُلُقي على وجه الخصوص. فأصحاب الاتجاه السلوكي يركزون غالباً على السلوك نفسه المتعلم الصادر عن الإنسان وليس التركيز على الإنسان شاملاً كل التصرفات والأفعال السلوكية الداخلية والخارجية – برغم الاختلاف الواضح في الأهداف والمقاصد بين الإمام – رحمه الله – وبين الاتجاه السلوكي، بالإضافة إلى السبق التاريخي الذي يتجاوز تسعة قرون لصالح الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله –.

## ٧ – الصدق والإخلاص :

أكد الإمام أبو حامد الغزالي عظم هذين الصفتين وجمع بينهما لما لهما من علاقة مباشرة على رغبة الإنسان في اكتساب السلوك الخُلُقي المحمود والتخلي عن

السلوك الخُلُقي المذموم. فقال – رحمه الله – : ((الصدق : وهو كمال الإخلاص، قال الله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٣] وقال النبي – عليه السلام – : " **إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً** "(النووي، ١٤٠٧ هـ، : ١٥٩). ... ويكفي بفضيلة الصدق أن يدرك به فضيلة الصديقين. واعلم أن للصدق مراتب ستة من بلغ في جميعها رتبة الكمال استحق اسم الصدق :

أ – الصدق في القول في جميع الأحوال.

ب – الصدق في النية : وهو أن يتمحض فيه داعية الخير، فإن كان فيه شوب فقد فات الصدق لله.

ج – الصدق في العزم : لأن العبد قد يعزم على التصدق إن رزق مالاً، وعلى العدل إن رزق ولاية، وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد وتارة يكون جزماً قوياً لا تردد فيه.

د – الصدق في الوفاء وفي العزم : لأن النفس قد تسخو بالعزم أولاً ولكن عند الوفاء ربما تتوانى عن كمال التحقيق. لأن المؤونة في العزم هيّنة وإنما الشدة في التحقيق.

هـ – الصدق في الأعمال : بحيث لا يدل على شئ من الباطن إلا والباطن متصف به، ومعناه استواء السريرة والعلانية، فالمشي على هدوء يدل بحكمه على أنه ذو وقار في باطنه.

و – الصدق في مقامات الدين : وهو أعلى أبوابه، كالخوف والرجاء والحب والرضا والتوكل وغيرها. (الغزالي، ١٤٠٠ هـ : ١٧٧)

مما سبق يتضح امتزاج صفة الصدق وصفة الإخلاص من أجل طاعة الله وما لها من أثار نفسية شاملة على الذات الإنسانية في الدنيا والآخرة، ولما لها من مدلول واضح في اكتساب السلوك الخُلُقي القويم فالباحث لم يستشعر أي أثر للإخلاص للواحد الأحد في جميع الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة – ما عدا علماء النفس المسلمين – وفي هذا اختلاف واضح عن ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي. وفي ذلك يقول الأحمد (١٤١٧هـ) : ((وهنا نجد علماء النفس في المدرسة السلوكية المعرفية وغيرها يؤكدون الصدق نظراً لطيب أثره، وسوء الكذب، لا لأجل أنه مطلب شرعي فهنا يختلفون)). (ص ٤٦)

ويتضح للباحث مما سبق أن الإخلاص والصدق يأتان من التكرار والمداومة، وتحريه في كل الأوقات وفي هذا علاقة قوية وارتباط بين صفة الصدق وصفة الإخلاص ودورهما في ظهور السلوك الخُلُقي المحمود ودوامه. لأن الإخلاص والصدق يدلان دلالة واضحة على مدى رغبة الإنسان في تطبيق السلوك الخُلُقي المحمود وجعله صفة أساسية راسخة في ذاته.

في ضوء المعطيات السابقة يستنتج الباحث أن الإمام أبا حامد الغزالي يرى أن السلوك الخُلُقي يقوم على ضبط قوة الشهوة والغضب تحت سلطة العقل والشرع، كما يرى أن اكتساب السلوك الخُلُقي يتأثر بالفطرة(الوراثة)، وبالاكتساب(البيئة).

كما أكد جملة من السبل تساعد على اكتساب السلوك الخُلُقي المحمود والوقاية من السلوك الخُلُقي المذموم مثل : الالتزام بعبادة الله عز وجل وطاعته، والمجاهدة النفسية، والصبر والمصابرة، والرياضة والمواظبة الفعلية، والمراقبة النفسية، والقدوة الحسنة، والإخلاص والصدق للوصول إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

## هدف السلوك الخُلُقي

إن الهـدف الغائي من السلوك الخُلُقي عند الإمام أبي حامد الغزالي التقرب إلى الله عز وجل وكسب رضاه لتتحقق السعادة الأخروية، كما أكد أن الإنسان يتهيأ لبلوغ تلك السعادة إذا ضبط جميع قواه الذاتية في الدنيا عند حد الاعتدال الخُلُقي المحمود.

قال – رحمه الله – : ((اعلم أن السعادة الحقيقية هي الأخروية وما عداها سميت سعادة إمـا مجازاً أو غلطاً كالسعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة وإما صدقاً ولكن الاسم على الأخـروية أصدق، وذلك كل ما يوصل إلى السعادة والآخروية ويعين عليه، فإن الموصل إلى الخير والسعادة يسمى خيراً وسعادة)). (الغزالي، د. ت : ١٠٣)

كمـا أوضح – رحمه الله – غاية السلوك الخُلُقي المحمود فقال : ((وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شئ أحب إليه من لقاء الله تعـالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه، وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلى على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى)). (الغزالي، د. ت، ج ٣ : ٥٩)

فالسـلوك الخُلُقـي المحمود في الحياة الدنيا هو امتداد للسعادة الأخروية، إذا اعتدلت الذات الإنسانية واستقامت على الصراط المستقيم، وسلكت منهج الحق القويم، فسعادة الذات

تستحقق باتصالها الدائم بالله عز وجل والقرب منه وذلك من خلال طاعته وعبادته والتحلي بالسلوك الخُلُقي المحمود واجتناب السلوك الخُلُقي المذموم.

ثم يوضح – رحمه الله – مستويات الناس وأهدافهم من انتهاج السلوك الخُلُقي المحمود وهي تتفاوت من شخص لآخر بحسب الهمة والقصد حيث قال : ((الأولى : من يرغب في ثوابه الموصوف له في الجنة ويخاف من عقابه الموعود له في النار وهذه الرتبة للعامة وهم الأكثرون. والثانية : رجاء حمد الله ومخافة ذمه أعني حمداً وذماً في الحال من جهة الشرع – وهذه منزلة الصالحين وهي أقل من الأولى بكثير. الثالثة : وهي العزيز الفذ رتبة من لا يبتغي إلا التقرب إلى الله تعالى وطلب مرضاته وابتغاء وجهه والالتحاق بزمرة المقربين إليه زلفى من ملائكته وهو درجة الصديقين والنبيين)). (الغزالي، د. ت : ٩٣)

فالسلوك الخُلُقي المحمود من وجهة نظر الإمام يهدف في حقيقته إلى تزكية الذات وتطهيرها من الأخلاق السيئة ؛ ليكون الهدف ممتداً ومتصلاً بالسعادة الأخروية الباقية.

ومن وجهة نظر الباحث أن الرغبة في الآخرة " إيماناً بها، ويقيناً بها واستعداداً لها " من أعظم علامات صاحب السلوك الخُلُقي المحمود، ومن نعم الخالق سبحانه وتعالى أن جعل للسلوك الخُلُقي المحمود في الحياة الدنيا أثراً وقبولاً في الآخرة عند الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]

ويرى ربيع (١٩٩٥ م) أن الهدف من السلوك الخُلُقي عند الإمام الغزالي هو الميل الإنساني الأصلي المتمثل في الحكمة والخير المؤديين إلى السعادة، أما الميل إلى الشهوة والباطل والقبائح فهو خروج على هذا الميل الأصلي وشذوذ عنه، وبذلك فإن من الممكن بل من السهل أن يعود الإنسان الضال إلى فطرته الأولى عن طريق المجاهدات النفسية والتدريبات السلوكية التي تكسبه السلوكيات الحميدة، وتعيده من جديد إلى فطرته الأولى. (ص ٤٥٨)

كما أوضح البريزات (١٤٠١ هـ) أن السلوك الخُلُقي عند الإمام الغزالي غائي يهدف إلى إنجـاز مجموعـة من الأهداف التي تتعلق بالنفس الإنسانية وتنعكس على الفرد والمجتمع، ويمكن إيجاز أهم هذه الأهداف مثل الكمال الإنساني، تربية النفس على الفضيلة، تهذيب قوى الـنفس الإنسانية، تحقيق السعادة للنفس الإنسانية، تحقيق سلامة القلب وطمأنينته، اكساب الـنفس الإنسـانية الأخلاق والعادات الحسنة، تكوين الشخصية المتوازنة، الارتقاء بالنفس الإنسانية إلى مقام العبودية، إرضاء الله سبحانه وتعالى. (ص ٩٧)

ويـرى الباحـث أن السـلوك الخُلُقي المحمود يتطلب من المرء أن يجاهد ذاته ليتصف بأخلاق سلوكية، وأفعال حسنة دائمة، ومعاملة، وممارسة، و تقويم ذاتي مستمر، وتزكية، وتخلية عن الرذائل وتحلية بالفضائل، ونيات صالحة، ومقاصد خيرة، و بواعث داخلية نقية، و دوافع خارجـية متوازنة تتناظم و تتناغم في وحدة الذات ليصدر عنها السلوك المقبول شرعاً، وهذا يتماشى في حقيقته مع الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها التربية الإسلامية.

يقول كسناوي (١٤٢٠ هـ) : ((والهدف الأخلاقي للتربية الإسلامية يسعى إلى تطهير النفس وتزكيتها بالفضائل ومكارم الأخلاق، وكراهية الرذائل والشرور والنفور منها والابتعاد عن ممارستها، وتكوين بصيرة علمية عقلية بالقيم الأخلاقية الإسلامية ... ويقيم الإسلام التربية الخُلُقـية عـلى أساس اعتقادي يربط بين الإيمان والسلوك الخُلُقي. وعلى أساس علمي لصلة القوانـين الأخلاقـية بالعلوم الطبيعية والنفسية والاجتماعية، وعلى أساس إنساني يستند إلى الطبيعة الإنسانية وحرية الإرادة والشعور بالمسئولية الأخلاقية)). (ص ١٥)

ويرى الصرهيد والراضي (١٤١٩ هـ) أن هذه النظرة تختلف عن وجهة نظر كثير من الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس حيث تسعى هذه الاتجاهات إلى الوصول إلى السـعادة النفسية الخالية كهدف تسعى لتحقيقه، وعادةً ما يكون هذا الهدف إما لتحقيق قدر معين من الإشباع الذاتي، أو لتلبية حاجات نفسية، أو اجتماعية، أو صحية أو لتعديل نمط معين من السلوك العام ليتوائم مع طبيعة وقوانين المجتمع وثقافته. وغالباً ما يكون هذا الهدف موجه عـلى المسـتوى الأفقي فالحياة الدنيا مقصودة لذاتها. حيث تقتصر العلاقة على مدى تحقيق التوازن بين الفرد والبيئة فقط. كما فُسرت " السعادة النفسية " عند بعض الاتجاهات النفسية

الغربـــية الحديـــثة " بالراحة النفسية "، أو " الاطمئنان النفسي " أو " التوافق النفسي " أو " الصحة النفسية "، حيث أثبتت غالبية الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس أن هذه المفاهيم تعتبر من مميزات وعلامات الشخصية السوية التي يصدر عنها السلوك الخُلُقي السوي. (مرسي، ١٤٠٣هـــ، الحاج، ١٤٠٤هـــ، العزاوي، ١٩٨٨ م، الأحمد، ١٤١٧ هـــ)

ويوضح الشناوي (١٤١٤ هـــ) أهم أهداف بعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في عـــلم النفس فيقول : ((فمن نظرية التحليل النفسي التي تحاول المساعدة على حل الصراع القـــائم بين اللاشعور والشعور، واستحضار المكبوتات من اللاشعور إلى حيز الشعور والتعامل معهـــا وتفســـيرها، أما نظرية العلاج السلوكي التي ترى أن هدفها يرتبط بهدف المسترشد في تعديل السلوك تكويناً أو غرساً، زيادة أو نقصان، كما يرى روجرز – عُرف بالاتجاه الإنساني – أن الهدف هو أن يصير الفرد إلى ذات جديدة تنضم إليها خبراته كلها، والتقريب بين الذات الواقعية والذات المثالية، وفي العلاج بالواقع فإن الهدف هو مساعدة الفرد على تنمية المسئولية والعـــيش مع الواقع والصحيح، وفي رأي ايليس في العلاج العقلاني الانفعالي أن التعرف على الأفكـــار غير المنطقية لدى المسترشد واحلال أفكار منطقية محلها هو الهدف من الإرشاد، أما بـــيك فيرى أن تصحيح أفكار المسترشد حول نفسه وحول العالم وحول المستقبل هي هدف العلاج والإرشاد)). (ص ٤٨٧)

ومن وجهة نظر الدراسة الحالية ترى أن الأهداف عند غالبية الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس تتباين تبايناً كبيراً فكل نظرية قد حددت هدفها بحسب مشاربها الفكرية وأصـــولها العلمية حيث حدد الهدف بحدود الإطار النظري الذي تعمل فيه، وفي هذا اختلاف بينها وبين وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – حيث أوضح أن الهدف الأساسي هو إكساب الذات السلوك الخُلُقي القويم والعادات الحسنة الراسخة، وتهذيب قواها النفسية، وتحقـــيق ســـلامة القلب وطمأنينته، وتكوين الشخصية المتوازنة في مكونات الذات الإنسانية الرئيســـة وفق مفهوم الشرع الإسلامي القويم. ويظهر لدى الباحث أن أهم غاية من السلوك الخُلُقي من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – قد اختلفت في جوهرها عن الغاية التي تسعى إلى تحقيقها الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس. وهذه النظرة لم تظهر

في كتابات الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة إما لعدم الإيمان بها من بعضهم، أو لعدم التركيز عليها من البعض الآخر اللهم إلا ما أشارت إليه قلة من كتابات علماء الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة المسلمين مثل : (العثمان، ١٤٠١ هـ، خليل، ١٤٠٧ هـ، الشناوي، ١٤٠٧ هـ، السليماني وبار، ١٤١٦ هـ، الصنيع، ١٤١٦ هـ، العاني، ١٤١٨ هـ)، حيث سبق للباحث أن تعرض لبعض من كتاباتهم.

يستنتج الباحث في ضوء المعطيات السابقة أن الإمام أبا حامد الغزالي – رحمه الله – يرى أن هدف السلوك الخُلُقي هو تحقيق مقتضى الإيمان، وترسيخ حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ما يملك من طاقات مادية ونفسية إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله سبحانه وتعالى لتحقيق السعادة الأخروية للذات الإنسانية من خلال الحياة الدنيا، بينما تسعى الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس إلى الوصول بالذات الإنسانية إلى السعادة النفسية الحالية كهدف غائي، وغالباً ما يكون هذا الهدف وقتياً وآنياً موجهاً على المستوى الأفقي وينتهي بانتهاء الحياة الدنيا.

# الفصل الخامس

# خلاصة نتائج الدراسة

- النتائج.
- التوصيات.
- المقترحات.

## نتائج الدراسة :

الآن... وبعد مناقشة وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – حول مفهوم السلوك الخُلُقي يخرج الباحث بأهم النتائج في النقاط التالية :

١– أكد الإمام أبو حامد الغزالي على أهمية تداخل وتفاعل السلوك الخُلُقي كمفهوم متكامل ومؤثر في بناء جوانب النفس الإنسانية، كما أكد على دور الجوانب الباطنية (العقلية) من خواطر ورغبات وإرادة والجوانب السلوكية الفعلية ووحدهما في اكتساب السلوك الخُلُقي وفق ما يقرره العقل والشرع، كما أبرزت الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس على أهمية العلاقة الوظيفية بين الإرادة الفكرية والسلوك العملي بمعنى وجود فكرة امتزاج السلوك عموماً والسلوك الخُلُقي الراسخ (المعتاد) والرغبة بالقوة الدافعة.

٢– أبرز الإمام أبو حامد الغزالي دور الجانب الروحي الإيماني كأساس ضابط وموجه للأساس النفسي والأساس القلبي والأساس العقلي، فكلما قويَّ الارتباط بين هذه ال وبين الأساس الإيماني أدى إلى ظهور السلوك الخُلُقي المحمود، كما أن ضعف ارتباط الأساس النفسي والقلبي والعقلي بالأساس الإيماني يؤدي إلى ظهور أعراض السلوك الخُلُقي المذموم، بينما هذا الجانب لا يكاد يوجد في الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس إلا قليلاً، حيث ركزت هذه الاتجاهات النفسية الغربية على نظريات ومعارف اجتهادية تتضح من خلال أقوال وخبرات وتجارب علماء النفس المحدثين، ولم تذكر أهمية معرفة الحق سبحانه وتعالى والإيمان به واستشعار قربه وابتغاء مرضاته ونيل ثوابه في كل المواقف، هذا ما أشار إليه الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – كثيراً في كتاباته.

٣– أثبت الإمام أبو حامد الغزالي على أن السلوك الخُلُقي المحمود أصل وفطري في الذات الإنسانية بينما السلوك الخُلُقي المذموم عارض ومكتسب يزول بزوال الأسباب إذ لا ينبغي للإنسان أن يستسلم للسلوك الخُلُقي المذموم المكتسب، كما أوضح الإمام خصائص السلوك الخُلُقي وأنه يتميز بالمرونة،والواقعية،والمثالية،والوسطية،كما اتفقت كل من وجهة نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة على أن السلوك الخُلُقي قابل للتغيير والتعديل، وأن عملية التغيير والتعديل واردة ولكن تحتاج إلى مهارة

وجهد لأن الأفراد يختلفون فيما بينهم نظراً لتأثير مفهوم الفروق الفردية بين الأفراد. وأن جميع القدرات والسمات والأخلاق في الفرد الواحد لا تتساوى.

٤- حدد الإمام أبو حامد الغزالي معايير السلوك الخُلُقي وفق معيار شرعي إلهي يتميز بالثبات والتكامل، والشمول، والدقة، ويحدد بوضوح كل ما ينبغي أن يكون سلوكاً خُلُقياً محموداً أو مذموماً، حيث زاد الإمام أبو حامد الغزالي على الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس بذكر مصدر الشرع الإسلامي " الوحي " وجعله ضابطاً وهادياً للعقل، كما أوضح أهمية الاعتدال الخُلُقي، وتوظيف الغرائز الفطرية، والسلامة النفسية، والتقوى النفسية وفق معيار الشرع الإسلامي والعقل السليم، بينما أهملت الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس ذلك كثيراً واهتمت بالنتائج التجريبية والاختبارات كمصدر حسي وبذلك اعتمدت كثيراً في ضبط السلوك الخُلُقي على معايير نسبية متعددة كالمعيار المثالي، والإحصائي، والذاتي، والاجتماعي، ومعيار نمو الفرد وصالح الجماعة، كما التقت وجهتا نظر الإمام أبي حامد الغزالي والاتجاهات النفسية الغربية الحديثة حول أهمية المعيار الذاتي، والاجتماعي، ومعيار نمو الفرد وصالح الجماعة كموجه للسلوك الخُلُقي.

٥- اتفقت وجهتا نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة على دور الفطرة (الوراثة)، والوسائط الخارجية (البيئة) في اكتساب السلوك الخُلُقي، وأن عملية اكتساب السلوك الخُلُقي في الذات الإنسانية على ذلك تعتبر جهاداً مستمراً ليكون بذلك سلوكاً خُلُقياً راسخاً لها من خلال مجموعة من السبل تساعد على اكتساب السلوك الخُلُقي المحمود والوقاية من السلوك الخُلُقي المذموم مثل : الالتزام بعبادة الله عز وجل وطاعته، والمجاهدة النفسية، والصبر والمصابرة، والرياضة والمواظبة الفعلية، والمراقبة النفسية، والقدوة الحسنة، والإخلاص والصدق للوصول إلى السعادة الحقيقية في الآخرة وفي ذلك تميز عن كثير من الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس.

٦- يرى الإمام أبو حامد الغزالي أن هدف السلوك الخُلُقي هو تحقيق مقتضى الإيمان، وترسيخ حب الله تعالى فلا يكون شئ أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ما يملك من طاقات مادية ونفسية إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله سبحانه وتعالى لتحقيق

السعادة الأخروية للذات الإنسانية من خلال الحياة الدنيا، بينما تسعى الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة في علم النفس إلى الوصول بالذات الإنسانية إلى السعادة النفسية الحالية كهدف غائي، وغالباً ما يكون هذا الهدف وقتياً وآنياً موجهاً على المستوى الأفقي وينتهي بانتهاء الحياة الدنيا.

## التوصيات :

من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية، وانطلاقاً بما مرّ في فصول الدراسة يتضح للباحث وجود قدر كبير من المعلومات التربوية والنفسية الأصيلة لدى العالم المسلم " أبي حـــامد محمد بن محمد الغزالي " – رحمه الله – حول مفهوم السلوك الخُلُقي، وه، وخصائصه، ومعاييره، وسبل اكتسابه وهدفه، ولذا يوصي الباحث بما يلي:

١– أهمية إبراز الجانب " الروحي " الإيماني، وتأثيره على سلوك الإنسان وأنه جانب مهم لثبات السلوك الخُلُقي المحمود، كما أن اضطرابه سبب كبير لعدم توافق الإنسان في دينه ودنياه وآخرته.

٢– نشـــر الـــثقافة الخُلُقـــية النافعة للأفراد في دنياهم وأخراهم، وتبصيرهم بطبيعة الآداب الإســـلامية المتعلقة بالسلوك الخُلُقي، وإبراز أهمية هذه الآداب الإسلامية في كافة مجالات الحياة

٣– أهمـــية إيضـــاح أن الدين الإسلامي والسلوك الخُلُقي القويم يسيران في خطين متوازيين، فالالـــتزام بأوامـــر الشـــرع الإسلامي القويم من صلاة وصيام وزكاة وكذلك الأخلاق السلوكية الإيمانية من إخلاص واستقامة وشكر وحمد وتوبة وإنابة وصدق وصبر وتواضع و زهد دليل على كمال الإيمان والخُلُق القويم في الذات الإنسانية.

٤– ضـــرورة تعميق مراقبة الحق عز وجل وزرع عظمته سبحانه وتعالى في قلوب الناشئة منذ الصـــغر والتأكـــيد المتكرر على أهمية ارتباط السلوك الخُلُقي القويم بطاعة الله عز وجل وعبادته وابتغاء مرضاته.

٥- إظهـــار الخصائص والمميزات الإيجابية الربانية والفطرية والواقعية والمرونة للسلوك الخُلُقي القويم الذي يتحلى به المسلم ومقارنته بالسمات الوضعية للإنسان المعاصر الذي لا يتحلى بالسلوك الخُلُقي المحمود.

٦- أهمـــية إبراز الإسهامات العلمية في جميع الجوانب التربوية والنفسية عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – وغيره من علماء الإسلام، وإظهارها للمتخصصين.

## المقترحات :

بعد توفيق الله وكرمه ومنه يصل الباحث بعد مناقشة مفاهيم الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – لتحقيق السلوك الخُلُقي والوصول لبعض النتائج، لذكر بعض المقترحات التي توصل إليها.

١ – دراسة بعض الجوانب التربوية والنفسية عند الإمام أبي حامد الغزالي – رحمه الله – مع تحديث الأسلوب والنظرة مثل :

أ – دراسة مفهوم الانفعالات.

ب – دراسة مفهوم التعلم.

ج – دراسة مفهوم الفروق الفردية.

د – دراسة مفهوم العادات وأنواعها.

هـ – دراسة مفهوم التنشئة الاجتماعية.

و – دراسة مفهوم الغرائز وأهميتها وأنواعها.

ز – دراسة مفهوم تعديل السلوك.

ح – دراسة مفهوم الدوافع وأنواعها.

ط – دراسة مفهوم السواء واللاسواء.

ي – دراسة مفهوم صورة الذات.

ك – دراسة مفهوم الإدراك الحسي.

٢- القيام بدراسة مماثلة لهذه الدراسة لدى أحد علماء الإسلام، ومقارنتها مع بعض الاتجاهات النفسية الحديثة في علم النفس. ومن هؤلاء العلماء الذي يمتاز عطائهم الفكري بالأصالة التربوية والنفسية التالية أسماؤهم : - تم ترتيب العلماء بحسب تاريخ الميلاد -المحاسبي ( ٢٤٣ هـ)، الجاحظ (٢٥٥ هـ)، ابن أبي الدنيا (٢٨١ هـ)،الفارابي (٣٣٩ هـ)، أبو طالب المكي (٣٨٦ هـ)، ابن مسكويه (٤٢١هـ)، ابن سيناء (٤٢٨ هـ)، الماوردي (٤٥٠ هـ)، الراغب الأصبهاني (٥٠٢ هـ)، ابن رشد (٥٩٥ هـ)، ابن عربي (٦٣٨ هـ)، ابن القيم الجوزية، (٧٥١ هـ)، الإمام السيوطي (٩١١ هـ).

٣- بناء مقاييس تربوية ونفسية تعالج، وتقيس مفهوم " السلوك الخُلُقي " في ضوء المفاهيم التي أوردها الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله -.

٤- إعداد دراسة مقارنة بين الإمام أبي حامد الغزالي - رحمه الله - وغيره من العلماء المسلمين الذين اهتموا أيضاً بهذا الجانب أو غيره.

وفي نهايـــة خاتمة الدراسة الحالية، يدعو الباحث الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصـــاً لوجهه الكريم، وان يجزي عن الباحث أساتذته جميعهم خير الجزاء كما يدعو الباحث من أعماق قلبه لكل من ساعده، أو أسدى إليه معروفاً، أو أصلح ما وقع فيه من خلل وخطأ، فإن ما قام به الباحث محاولة في مجال علم النفس، وما كان من خير وصواب فهو من توفيق الله وكرمه تعالى، وما كان من نقص وخطأ فهو من الباحث وهذا من ضمن الاجتهادات التربوية والنفسية ولا يجزم الباحث بكماله، ولا بصوابه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما أن الرجوع إلى الحق فضيلة وشيمة كريمة والحمد الله العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تلاهم بإحسان إلى يوم الدين. قال الله تعـــــالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]

# المصادر والمراجع

# قائمة المصادر والمراجع


١- القران الكريم. المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢- أبـو سـليمان، عـبد الوهاب إبراهيم. (١٤٠٤ هـ). الفكر الأصولي، جدة : دار الشروق.

٣- أحمـد، السيد. (١٩٩٥ م). أصل القيمة الأخلاقية عند الجاحظ، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، العدد (٣٧٨)، السنة الرابعة والثلاثون، سورية، ص ص ٤٦ – ٩٢.

٤- الأحمـد، عبد العزيز عبد الله. (١٤١٧ هـ). مفهوم الصحة النفسية من وجهتي نظر ابـن قـيم الجوزيـة – رحمه الله – والدراسات النفسية الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٥- الأصـبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (١٣٨١ هـ). المفردات في غريب القرآن (تحقيق محمد سيد كيلاني)، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٦- أمين، احمد. (١٩٧٤ م). كتاب الأخلاق، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية

٧- ابـن حنـبل، أحمد. (١٤١٣). المسند، الأجزاء. (٢، ٦)، (إعداد وإشراف سمير طه الجذوب وآخرون)، بيروت : المكتب الإسلامي.

٨- ابـن خلكـان، أبي العـباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر. (د. ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان الجزء (٣)، (تحقيق إحسان عباس)، بيروت : دار الثقافة.

٩- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي. (١٣٩٨هـ). البداية والنهاية، ج١٢، بيروت : دار الفكر.

١٠- انجلـر، بار برا. (١٩٩١ م). مدخل إلى نظريات الشخصية (ترجمة عبد الله الدليم)، الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر.

١١- بـار، عبد المنان ملا معمور. " الدين وأثره على السلوك "، عكاظ، ٤ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ، العدد (١١٧٢١)، ص ٩.

١٢- باعنـتر، حنان حسين أحمد. (١٤١١ هـ). مستوى الحكم الأخلاقي وعلاقته بالذكاء والمسـتوى الاجـتماعي الثقافي لدى طالبات المرحلة المتوسطة في مدينة مكة المكرمة،

رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٣- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤١٠هـ). الأدب المفرد، بيروت : دار الكتب العلمية.

١٤- البخاري، محمد بن إسماعيل. (د. ت). صحيح البخاري، ج ١، بيروت : إحياء التراث العربي.

١٥- بدري، مالك. (١٤١٥ هـ). التفكر من المشاهدة إلى الشهود، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة بحوث علمية الدار، العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض.

١٦- بدوي، احمد زكي. (١٩٧٨ م). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت : مكتبة لبنان.

١٧- بدوي، عبد الرحمن. (١٩٧٧ م). مؤلفات الغزالي، الكويت : وكالة المطبوعات.

١٨- البريزات، عبد الحفيظ احمد علاوي. (١٤٠١ هـ). نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي، الأردن : مطبعة الصفا.

١٩- بن حميد، صالح بن عبد العزيز. (١٤٠٨ هـ). مستوى الحكم الأخلاقي لدى طلاب وطالبات جامعة أم القرى، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٢٠- بن حميد صالح بن عبد الله وآخرون. (١٤١٨ هـ). موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج ١، جدة : دار الوسيلة للنشر والتوزيع

٢١- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. (د. ت). الجامع الصحيح، ج ٤ (تحقيق أحمد محمد شاكر)، مكة المكرمة : المكتبة الفيصلية.

٢٢- الجسماني، عبد العلي. (١٤١٤ هـ). الطفل السوي وبعض انحرافاته، بيروت : الدار العربية للعلوم.

٢٣- جمل الليل، محمد جعفر. (١٤١٩ هـ). المساعدة الإرشادية، جدة : دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف.

٢٤- جوهري، محمد ربيع محمد. (١٤٠٥ هـ). أخلاقنا، القاهرة : بدون دار نشر.

٢٥- الحاج، فائز محمد علي. (١٤٠٤ هـ). الصحة النفسية، دمشق : المكتب الإسلامي.
٢٦- الحداد، احمد عبد العزيز. (١٩٩٦ م). أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، ج١، بيروت : دار الغرب الإسلامي.
٢٧- الحداد، عبد الله علوي. (١٤١٣ هـ). رسالة المذاكرة مع الأخوان المحبين من أهل الخير والدين، جدة : الناشر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٨- الحداد، عبد الله علوي. (١٤١٣ هـ). النصائح الدينية والوصايا الإيمانية، جدة : الناشر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٩- الحسني، محمد بن علوي بن عباس المالكي. (د. ت). القدوة الحسنة في منهج الدعوة إلى الله، جدة : مطابع سحر.
٣٠- الخفني، عبد المنعم. (د. ت). موسوعة مدارس علم النفس، القاهرة : مكتبة مدبولي
٣١- الخليبي، أحمد بن عبد العزيز بن محمد. (١٤١٧ هـ). المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، الرياض : شركة الرياض للنشر والتوزيع.
٣٢- الخطيب، جمال. (١٩٩٤ م). تعديل السلوك الإنساني، عمان : بدون دار نشر.
٣٣- خليل، محمد رشاد. (١٤٠٧ هـ). علم النفس الإسلامي العام والتربوي، الكويت : دار القلم.
٣٤- الدر، إبراهيم فريد. (١٤١٥ هـ). ال البيولوجية لسلوك الإنسان، بيروت : الدار العربية للعلوم.
٣٥- راجح، احمد عزت. (د. ت). أصول علم النفس، بيروت : دار القلم.
٣٦- ربيع، محمد شحاتة. (١٤١٥ هـ). التراث النفسي عند علماء المسلمين، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
٣٧- الزركلي، خير الدين. (د. ت). الأعلام، الجزء (٧)، بيروت : دار العلم للملايين.
٣٨- الزعبلاوي، محمد السيد محمد. (١٤١٤ هـ). تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الرياض : مكتبة التوبة.
٣٩- زكريا، احمد فارس. (١٣٧١ هـ). معجم مقاييس اللغة، ج ٢، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية.

٤٠- السُبكي، تاج الدين نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. (١٣٨٨هـ). طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦ (تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي)، القاهرة : مطبعة عيسى الحلبي السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي. (١٤١٩ هـ). سنن أبي داود الأجزاء ٣، ٥ (تحقيق محمد عوامة)، مكة المكرمة : المكتبة المكية. وشركاه.

٤١- السجستاني ، أبو داود سليمان إبن الأشعث الأزدي. (١٤١٩هـ). سنن أبي داود الأجزاء ٣،٥ (تحقيق محمد عوامة)، مكة المكرمة: المكتبة المكية.

٤٢- سلام، عايدة إبراهيم. (١٤١٠ هـ). دراسة مقارنة لبعض متغيرات الشخصية لدى طلاب وطالبات جامعة أم القرى بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٤٣- سُلتي، عبد الله محمد بن مكي. (١٤١٨ هـ). مدى استفادة المدرسة الابتدائية من التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة

٤٤- السلجوقي، صلاح الدين. (١٩٦١ م). اثر الإمام الغزالي في الأخلاق. الذكرى المئوية التاسعة بعد المائة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، المنعقد من ٢٧ – ٣١ مارس، دمشق.

٤٥- السلمي، عبدربه بن نامي بن مسحل. (١٤١٨ هـ). التربية الخلقية في الإسلام وتطبيقاتها في المدرسة الابتدائية. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٤٦- السليماني و بسار. محمد حمزة، عبد المنان ملا معمور. (١٤١٦ هـ). الخُلُق منظور تربوي نفسي لدى كل من ابن مسكويه والغزالي، مطابع جامعة أم القرى، مجلة جامعة أم القرى، السنة التاسعة، العدد (١١)، مكة المكرمة، ص ص ٩١ – ١٣٤.

٤٧- السمالوطي، نبيل. (١٤٠٨ هـ). بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، جدة : دار الشروق.

٤٨- الشرباصي، احمد. (د. ت). الغزالي والتصوف الإسلامي، القاهرة : دار الهلال.

٤٩- الشـــرقاوي، مصـــطفى خليل. (د. ت). علم الصحة النفسية، بيروت : دار النهضة العربية.
٥٠- الشناوي، محمد محروس. (١٤٠٧ هـــ). أنموذج تهذيب الأخلاق عند الغزالي ومقارنته بأنموذج العلاج السلوكي الحديث. رسالة الخليج العربي، العدد (٢٢)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص ص ١٣٣ - ١٥١.
٥١- الشناوي، محمد محروس. (١٤١٤ هـــ). نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٢- الشـــيخ، محمد محمود. (١٤٠٨ هـــ). فلسفة الأخلاق العملية عند الغزالي، القاهرة. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.
٥٣- الصابوني، محمد علي. (١٩٨٩ م). من كنوز السنة النبوية، دمشق : دار القلم.
٥٤- الصرهيد، مطيع الله بن دخيل الله، الراضي، أسامة محمد." النموذج الإسلامي للعلاج النفسي " عكاظ، ٣٠ ذو الحجة، ١٤١٩ هـــ، العدد (١١٩٢٠)، ص ٢٣.
٥٥- صليبا، جميل. (١٩٩٤ م). المعجم الفلسفي، ج ١، دمشق : دار الكتاب العالمي.
٥٦- الصنيع، صالح بن إبراهيم. (١٤١٦ هـــ). دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، الرياض : دار عالم الكتب.
٥٧- ضاهر، عادل. (١٩٩٠ م). الأخلاق والعقل، عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع
٥٨- الطـــبراني، أبـــو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي.(١٤٠٧ هـــ). المعجم الأوسط، ج ٣ (تحقيق محمود الطحان)، الرياض : مكتبة المعارف.
٥٩- طه وآخرون، فرج عبد القادر. (د. ت). معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت: دار النهضة العربية.
٦٠- العـــاني، نزار. (١٤١٨ هـــ). الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار الفرقان للنشر والتوزيع، سلسلة بحوث علمية، -١٥-، عمان.
٦١- عـــبد الـــرحمن، طه. (١٤١٢ هـــ). آليات التقريب الإسلامي للأخلاق النظرية عند الإغريق، مكناس : مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

٦٢- العبد الرحيم، سناء. (١٤١٨ هـ). الطب النفسي في الإسلام، دمشق : مكتبة الفارابي.

٦٣- العبد القادر، علي عبد العزيز. (١٤١٢ هـ). دور الوازع الأخلاقي في توجيه السلوك الإنساني، مجلة جامعة أم القرى، العدد (٦)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص ص ١٥٨ - ٢٥١.

٦٤- العثمان، عبد الكريم. (١٤٠١ هـ). الدراسات النفسية عند المسلمين، القاهرة : مكتبة وهبة.

٦٥- عثمان، نبيه عبد الرحمن. (١٤٠٨ هـ). الإنسان الروح والعقل والنفس، رابطة العالم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، السنة السابعة، العدد (٧٠)، مكة المكرمة.

٦٦- العزاوي، داود سلمان عبد علي. (١٩٨٨ م). مبادئ علم الأخلاق. بغداد : مطبعة الجامعة.

٦٧- العساف، صالح بن حمد. (١٤١٦ هـ). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. الرياض : مكتبة العبيكان.

٦٨- العسقلاني، أحمد بن أحمد بن علي بن حجر. (١٤٠٧ هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٠ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب)، الرياض : دار الريان للتراث.

٦٩- العفنان، سعد بن خلف. (١٤١٢ هـ). في علم الأخلاق، القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧٠- عويس، عبد الحليم. (١٤١٣ هـ). شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء المقاييس الإنسانية، الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧١- العيسوي، عبد الرحمن. (١٩٨٦ م). الإسلام والعلاج النفسي، الاسكندرية : دار الفكر الجامعي.

٧٢- عيسوي، عبد الرحمن. (١٩٩٢ م). النمو الروحي و الخلقي، بيروت : دار النهضة العربية.

٧٣- الغـــزالي، أبو حامد محمد. (١٤٠٠ هـــ). كتاب الأربعين في أصول الدين (تحقيق لجنة إحياء التراث العربي)، بيروت : دار الأفاق الجديدة.
٧٤- الغـــزالي، أبـــو حامد محمد. (١٤٠١ هـــ). معارج القدس في مدارج معرفة النفس، بيروت : دار الأفاق الجديدة.
٧٥- الغـــزالي، أبـــو حامد محمد. (١٤١٤ هـــ). المستصفى من علم الأصول، ج ١(ضبط وتعليق إبراهيم محمد رمضان)، بيروت : دار الأرقم بن أبي الأرقم.
٧٦- الغـــزالي، أبو حامد محمد. (١٤١٤ هـــ). روضة الطالبين وعمدة السالكين، بيروت : دار الكتب العلمية.
٧٧- الغـــزالي، أبو حامد محمد. (١٤١٧ هـــ). مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب (تعليق عبد المجيد طعمه حلبي)، بيروت : دار المعرفة
٧٨- الغـــزالي، أبو حامد محمد. (١٤١٧ هـــ). منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (تحقيق محمود مصطفى حلاوي)، بيروت : دار البشائر الإسلامية.
٧٩- الغزالي، أبو حامد محمد. (١٤١٨ هـــ). بداية الهداية، بيروت : دار الكتب العلمية.
٨٠- الغـــزالي، أبـــو حامد محمد. (١٤١٨ هـــ). المنقذ من الضلال، بيروت : دار الكتب العلمية.
٨١- الغـــزالي، أبـــو حـــامد محمد. (١٤١٨ هـــ). كيمياء السعادة، بيروت : دار الكتب العلمية.
٨٢- الغزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). إلجام العوام عن علم الكلام، بيروت : دار الكتب العلمية.
٨٣- الغزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). ميزان العمل، مكتبة الجندي : القاهرة.
٨٤- الغـــزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). إحياء علوم الدين، الأجزاء (١،٣، ٤)، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر.
٨٥- الغزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). أيها الولد، بيروت : دار الكتب العلمية
٨٦- الغزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). الرسالة اللدنية، بيروت : دار الكتب العلمية.
٨٧- الغزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). القسطاس المستقيم، بيروت : دار الكتب العلمية

٨٨- الغزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). منهاج العارفين، بيروت : دار الكتب العلمية.
٨٩- فتحي، محمد رفق محمد. (١٩٨٣ م). في النمو الأخلاقي، الكويت : دار القلم.
٩٠- الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (١٩٧٢ م). القاموس المحيط، ج ٣، القاهرة : مكتبة مصطفى البابي.
٩١- القرضاوي، يوسف. (١٤٠٦ هـ). الخصائص العامة للإسلام، القاهرة : مكتبة وهبة.
٩٢- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (د. ت). تفسير القرطبي.الجامع لأحكام القرآن، الجزء (٨)، القاهرة : دار الشعب.
٩٣- قطب، سيد. (١٤٠٧ هـ). خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، القاهرة : دار الشروق.
٩٤- كرزون، أنس أحمد. (١٤١٨ هـ). منهج الإسلام في تزكية النفس، ج ١، جدة : دار نور المكتبات.
٩٥- كسناوي، محمود محمد عبد الله. (١٤٢٠ هـ). التربية الإسلامية ودور الأسرة في تأصيلها وتعزيزها، بحث مقدم لندوة تربية الأسرة في ظل التعاليم الإسلامية في الفترة ٢٠ – ٢٣ رجب. بإشراف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع كلية التربية بجامعة أم القرى. مكة المكرمة.
٩٦- كفافي، علاء الدين. (١٤٠٦ هـ). المحك الإسلامي للسلوك السوي، المجلة التربوية، العدد (٩)، المجلد الثالث، جامعة الكويت، الكويت.
٩٧- الكيلاني، ماجد عرسان. (١٤١٢ هـ). اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية، مركز بحوث التعليم الإسلامي. جامعة أم القرى. مكة المكرمة
٩٨- المالكي، مبروك بن عيضة. (١٤١٥ هـ). ضبط النفس في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٩٩- مبارك، زكي. (١٩٢٤ م). الأخلاق عند الغزالي، القاهرة : مطابع دار الكتاب.

١٠٠- مجمع اللغة العربية. (د. ت). المعجم الوسيط، ج ١، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، القاهرة : مطابع دار المعارف.
١٠١- مرسي، سيد عبد الحميد. (١٤٠٣ هـ). النفس المطمئنة، القاهرة : مكتبة وهبة.
١٠٢- مرسي، محمد منير. (١٩٩٢ م). التربية الإسلامية، القاهرة : عالم الكتب.
١٠٣- معروف، نايف. (١٤١٥ هـ). الإنسان والعقل، بيروت : دار سبيل الرشاد.
١٠٤- المقري، أحمد محمد يحي. (١٤٠٩ هـ). تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم، جدة : دار حافظ للنشر والتوزيع.
١٠٥- نجاتي، محمد عثمان. (١٤١٣ هـ). القرآن وعلم النفس، القاهرة : دار الشروق.
١٠٦- نجاتي، محمد عثمان. (١٤١٤ هـ). الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، القاهرة : دار الشروق.
١٠٧- النووي، أبي يحي زكريا بن شرف. (د. ت). بستان العارفين (تحقيق محمد الحجار)، حلب : دار الصابوني.
١٠٨- النووي، محي الدين يحي بن شرف. (١٤٠٧ هـ). شرح صحيح مسلم، المجلد الأول الجزء (١)، القاهرة : دار الريان للتراث.
١٠٩- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. (١٣٧٤ هـ). صحيح مسلم، ج ١، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية.
١١٠- الهاشمي، عبد الحميد. (١٤٠٣ هـ). علم النفس في التصور الإسلامي، مطابع جامعة أم القرى، سلسلة بحوث التعليم الإسلامي، مكة المكرمة.
١١١- الهاشمي، عبد الحميد محمد. (١٤٠٤ هـ). أصول علم النفس، جدة : دار الشروق
١١٢- الهاشمي وعبد السلام. عبد الحميد، فاروق سيد. (١٤٠٠ هـ). البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم. ندوة خبراء التربية الإسلامية المنعقدة من ١١ - ١٦ جماد الثانية. مكة المكرمة.
١١٣- الهدار، محمد عبد الله. (د. ت). عجلة السباق إلى مكارم الأخلاق، جدة : دار العلم
١١٤- ياسين، عطوف محمود.(١٩٨٦ م). علم النفس العيادي. الإكلينيكي، بيروت : دار العلم للملايين.

١١٥- يـــالجن، مقداد. (١٤١٨ هـــ). التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، الرياض : دار عالم الكتب.

١١٦- اليحصـــبي، القاضـــي أبي الفضـــل عـــياض. (١٤٠١ هـــ). الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ١، بيروت : دار الفكر.

١١٧- يحي، سيد عباس ملا. (١٤٠٧ هـــ). العلاقة بين المعلم والمتعلم عند الإمام الغزالي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.